

المقبر

تاريخ الحضارة

مملكة الافرنج

الممالك البربرية

تأسس الحكم الامبراطوري — لم يشأ ملوك البربر النازلين في الامبراطورية الرومانية ان يأتوا على المعاهد الامبراطورية فيبيدوها بل آثروا ان يخلفوا الامبراطرة ويستولوا الشرائع ويصدروا الاحكام ويحبوا الضرائب وعلى الجملة ان يحكموا كما حكم الامبراطور . هكذا كان شأن ملوك البورغوند والويزغوت والوندال في القرن الخامس ولكن ملك الاوستروغوت في ايطاليا تيودوريك قد بلغ في احتذاء ذلك المثال ارقى درجاته في القرن السادس فكان له في فارون قصر بني على مثال قصر الامبراطور مع وزيره وصاحب حاشيته ووكيل خزانته وامناه ماله وكان له ولاية ومحافظون يجيئون الضرائب اما القوات فظلوا محاربين ومنهم بتألف الجيش تحت اوامر الدوقات والكونتية منهم . وفي ظل هذا الحكم كان الايطاليون يعيشون بسلام كما كانوا على عهد الامبراطورية فانشأوا يصلحون الحجاري والحمامات ودور التمثيل بل وشادوا ايضا مصانع جيدة مثل قصر فارون ومسلة رافن وبدأ التمثيل يعود الى ما كان عليه ونفتح مدارس البيات لقبول الطلاب وعلى اذاك العهد نبغ بويس آخر شعراء اللاتين القدماء (٤٧٠ — ٥٢٤) بيد ان القوات لم يخضعوا زمانا طويلا لهذا النظام فبعد موت تيودوريك كانت الملكية اما لازوت تربي ابنها على يد اساتذة رومانيين فجاء رؤساء الجند يطلبون ان يربوا الطفل مع اترابه على الصيد وحمل السلاح على نحو ما تقتضي بذلك العادة البربرية . حكومة الميروفنجيين — كان ملوك الافرنج في غالبا اكثر توحشا من تيودوريك

وحاولوا مع ذلك ان يحكموا البلاد على الطريقة الرومانية فمنح امبراطور القسطنطينية كلوفيس لقب قنصل وبطريق فظهر في مدينة تور لابسا رداء من الأرجوان وعلى رأسه التاج واقتسم اخلافه المملكة بينهم كما يقسم الملك ولكن كان لكل منهم قصره في البقعة التي كان يحكم فيها كلوفيس فيجلس على عرش من ذهب يحف به رجال الدولة بالقابهم الرومانية من قومس (كونت) الى صاحب الخاتم الى الحاجب وكان لهم شعراء في قصورهم مثل الشاعر فنانتيوس فورتوناتوس الذي جاء من ايطاليا ونظم اكراما لزوجات برونهوت ايانا مخللة مصنعة اظهر فيها كوبيدون (اله الحب) فرحا بالزواج والزهرة (اله الجمال) لتذكر ان برونهوت جميل مثلها وكان الملك شيلبريك نفسه ينظم ايانا باللاتينية غاية في السقم والركاكة واخترع حروفا جديدة مثل *Qvith, oae* وكان يأمر الكونتية ان يمحو بالتشاف (الحفان) رقوق كتب التعليم في المدارس العامة ليعيدوا كتابتها بحروفه الجديدة وبعنى بعلوم الدين ايضا ويدعي ان العزة الالهية يجب ان يطلق عليها اسم واحد وقد قال لاحد الاساقفة هكذا ار يدك ان انتقد انت واخوانك من علماء الكنيسة . ولما اتاه من ارسلهم الى القسطنطينية بالانقشة والزين وأيقونات الذهب عرض مالتوه به في قصره وعرض في الوقت نفسه حوضا عميقا من الذهب الذي كان امر بصنعه فكان يربه للناظرين باعجاب قائلا انا الذي استصنعت له لآلئة ولارفع من قدراة الافرنج ولعمري كم استصنع اذا عشت من الاعلاق والتحف

تخاذل المير وفنجين — لم يستطع هؤلاء المقلدون في المدينة الحديثة ان يطول عهدهم فان الافرنج كالغوت بلغوا من التوحش مبلغا لم يقبلوا معه على النظام الملكي فكان الحاربون يحترمون ملوكهم لانهم كانوا من العنصر المير وفنجي ولكن خضوع موقت وكان المقاتلة اكثرهم عرامة يعيشون بالقرب من الملك وفي موكبه ويسميه الملك رجاله وكثيرا ما يكون هؤلاء اكثر سلطة من الملك . وفي سنة ٥٣٤ بينا كان الملكان شيلبر وكونتير ذاهبين لتغريب بلاد البورغوند واراد تيري ان يبق في مملكته جاء رجاله يقولون له اذا لم تذهب الى بورغونديا مع اخوانك ننخل عنك ونلحق بهم . يريدون تيري ان يقودهم لتغريب اوفرنيا . وبعد حين قال احد المقاتلين للملك كونتران : نحن نعلم اين خبئت تلك الفأس الندية بدم اخوانك فانا نستطيع بها ان نقطع رأسك . وقد اخذ كونتران الفرع فقال ذات يوم في الكنيسة امام جمهور المؤمنين : انقسم عليكم

أيها الرجال والنساء الحاضرون هنا ان لا تفشلوا في كما قتلتم اخواني من قبل . وكان هؤلاء
المقاتلة الذين لا تدرب لم يرضون بان يلقوا بملوكهم في الحروب . لانهم كانوا
يرجون في الحروب ان يعودوا وايديهم مملأى بالامرى والغنائم على انهم كانوا لا يودون
اداء الضرائب وحاول بعض الملوك ان ينفذوا القانون الروماني الذي كانوا يرونه
نافعا في جباية المال وقد عهد تيودير ملك الافرنج في اوسترازايا الى وزيره بارتنيوس
ان ينظم امور الجباية فلما قضى نحبه انتفض الافرنج وذبحوا بارتنيوس في كنيسة
تريف (٥٤٧) وبعد ثلاثين سنة امر شيلبيرك بتنظيم قوائم بالاملاك وان تصرف
صرية على الاراضي والعبيد وخربت مملكة شيلبيرك في السنين التالية بما اصابها
من الطوفان والحريق والابشة واوشك الملك ان يهلك بعد ان فقد ابنه وكان القوم
بذهبون الى ان الله عاقب شيلبيرك على الجناية التي ارتكبها بوضع الضرائب على
الناس . ولما رأت المملكة قد بدغوت اولادها قدموا الى النار سجلات ضرائب
المدن التي كانت خاصة بها واذا تردد زوجها ان يلقى سجلاته قالت له : وماذا ينمك ان
تخذ وحذوي فاعمل عملي حتى اذا فقدنا اولادنا لاعزى نخلص على الاقل من العقوبات الابدية
(٥٨٠) . وفي سنة ٦١٤ اجتمع الاساقفة ورجال الملك واكرهوا الملك كولثير ان ينشر
امرا بالغاء جميع الضرائب .

الحقوق الرومانية وملوك البربر - كان ملك الافرنج في القرن السابع ملكاً على جميع جرمانيا ولم يكن سكان هذه المملكة الواسعة أمة واحدة متحدة اجزائها بل كان لكل شعب لغته وعادته ولم يكن في البلاد قانون واحد يخضع له الجميع على السواء وكان لكل انسان قانونه الشخصي خلال زهاء ثلاثة قرون (من القرن السادس الى التاسع) وقد احتفظ قداما سكان الامبراطورية بالقانون الروماني اما البربر فكان كل واحد منهم يتبع عادة شعبه القديمة . وقد كتبت هذه العادات باللغة اللاتينية في عصور مختلفة فسميت قوانين البربر فمثلاً قانون الافرنج (وهو يجمع النساء واولادهن من كرمي الملك) وقانون ريبوير وقانون الامان وقانون الفريزون وقانون البافاريين وبالجملة كانت القوانين بقدر عدد الشعوب . وهذه العادات التي جعلت فيها المواد كيفما اتفق تحتوي على بعض الفصول في حقوق التملك والموارث ولكن معظمها نظام فيما يجب عمله في السرقات وحوادث القتل .

وكان البربر يرون ان الخصومات بين افراد ليست سوى جرائم ليس من شأن الحكومة

التدخل بها فإذا وقعت جناية قتل فمن شأن القاتل أو أسرته ان ينقموا من القاتل او من ذوي قرباه فكل شدة تؤدي الى انتقام اضطراري بين الأسرات تشبه الانتقام المألوف الى اليوم في جزيرة الكورس . ولقد كانت المحكمة لا بطلان هذه الفظائع تكرم المحرم ان يدفع غرامة الى آل القاتل ليكفوا عن اخذ الثار . وفي قوانين البربر تحديد دقيق لقيمة هذه الغرامات فلكل اسرى قيمة بحسب حاله فإذا هلك فالقنائل يؤدي قيمته برمتها وإذا جرح يدفع القاتل جزءاً من قيمته على نسبة شدة الجرح وإذا ضرب رجل رجلاً في رأسه وشججه يدفع ١٥ سولاً من ذهب (السول خمسة فرنكات) وإذا ضربه برأيه وأخرج منه ثلاث عظام يفرم بثلاثين سولاً وإذا ضربه على أم رأسه فقطع يده يفرم بخمسة واربعين سولاً . وإذا قطع رجله او يده او جدد انفه يفرم بمئة سول وإذا بقيت اليد المقطوعة معلقة يفرم فقطع بخمسة واربعين سولاً وإذا نوت اليد واستوصلت يفرم باثنين وستين سولاً . وإذا قطع له ايمام يده او رجله يفرم بخمسة واربعين سولاً . وإذا قطع له اصبعه الثانية التي يشد بها القوس يفرم بخمسة وثلاثين سولاً وفي الاصبع الثالثة يفرم بخمسة عشر سولاً وعن الخامسة يفرم بخمسة سولات وعن الخنصر يفرم بخمسة عشر سولاً . وكانوا يحكمون على كل فرد في المحاكم بقانون شعبه قال أسقف في ليون في القرن التاسع ليس من النادر ان يجلس خمسة اشخاص معاً ويكون لكل منهم قانونه الخاص .

مملكة شارلمان

الكارولنجيون — لم يوفق ملوك الافرنج ان يخضعوا رعاياهم البربر اخضاع طاعة وعلى العكس فانهم نهضوا على التدرج جميع الاملاك الامبراطورية ليكون مقاتلتهم على مقربة منهم فقد المحاربون ارباب أملاك عظمى وسكنوا في اراضيهم بين عبيدهم وخلعوا ربة الطاعة فامسى الملك الميروفنجي شخصاً خاملاً منزلاً . وقد نشأت في شرق المملكة من انحاء اربين أسرة من كبار ارباب الاملاك لها بعض احترام من قومها يؤهلها الى خضوع مقاتلة بلادها لامرها ودعا رئيس هذا البيت نفسه بدوق الافرنج ولما كان هو لا في الافرنج في الشرق اكثر مضاء ونظاماً استباحوا حتى افرنج الغرب وغدا ملكهم مدير القصر لدى ملك الميروفنجيين واصبح السيد الحقيقي في المملكة عامة وبعد نصف قرن اراد احد الدوقات وهو يبين لبريف ان يلقب نفسه ملكاً فقتل البابا زاخري رأيه فاجاب بان من حصلت له السلطة الملوكية يجب ان يكرم (٧٥٢) وعلى ذلك

نودي ببين ملكاً على الافرنج وجاء القديس بونيفاس يسجد له هو وامرأته بالزيت المقدس فاصبحت الأسرة الكارولنجية من ثم أسرة ملوكية يحترمها الشعب وتقدسها الكنيسة .

شارلمان — كان شارلمان بن بين أقدر ملوك البربر على الإطلاق فقد اخضع سيفه جنده جميع شعوب ألمانيا وتقدم الى الشرق نحو الالب الى الغرب نحو الابر وملكته عبارة عن فرنسا وألمانيا وإيطاليا الشمالية^(١) وقلق الباباوات في إيطاليا على ذلك العهد وحاذروا من اللومباردين ومن ملوك البيزنطيين حتى انهم لم يكونوا في رومية من القوة بحيث يحترمهم الناس على الدوام . وكاد البابا ليون الثالث ذات يوم ان يذبح في إحدى الفتن وضرب وديس بالارجل واضطر الى الفرار واستنجد الباباوات غير مأمرة بملك الافرنج (بين وابنه شارلمان) وكانوا يحتاجون الى حام قادر يحميهم فظهر من شارلمان انه كفؤ للذب عن حماهم ومناذرة من عاداهم . انتخب البابا ليون الثالث الجديد سنة ٧٩٥ فبعث الى شارلمان بمفتاح قبر القديس بطرس المقدس وعلم مدينة رومية طالباً اليه ان يبعث باحد يأخذ باسمه يعمة الشعب الروماني فاجاب شارلمان انني راغب ان أعقد معكم محادثة لا يعض ابرامها يكون سداها الاخلاص ولحمها الحب حتى انال البركة الرسولية من قداسكم ويكون لكرسي الكنيسة الرومانية المقدسة من اخلاصي مدافع على الدهر . وجاء شارلمان الى رومية سنة ٨٠٠ فتوجه البابا ونادى به امبراطوراً وعلى رواية اجنهارد صديق شارلمان ان هذا لم يتمدد هذه الحفلة بل ترك البابا يعمل ما يريد قال ولو شعر بما يراد عمله لما دخل الكنيسة ومع هذا رضي بان يلقب بامبراطور الرومانيين واغسطس وما عدا أحوالاً نادرة لم يرض ان يتخذ بدلاً عن البابا الامبراطوري واحتفظ بلباسه الافرنجي وهو سروال من الكتان مشدود بمصبات وقبض من العوف يئاط به زنا ثم رداء واسع

وهذا التتويج لم يؤد في سلطة شارلمان ولم يكن حادثاً خطيراً غاية ما في الامر ان اصبح في الغرب بعد ذلك الحين امبراطوراً يعترف البابا والاساقفة بانه ملكهم وانه حامي الكنيسة . واصبحت هناك سلطتان رسميتان البابا والامبراطور يحكمون الشعب ورجال الدين حكماً مشتركاً .

(١) دع عنك الشعوب الصغيلة فيما وراء عبر الالب التي كانت تودي له الجزية

حكومة الكونتية — لم يحاول شارلمان العمل بمقتضى الامبراطورية الرومانية بل ترك ارباب الاملاك معقون من الضرائب اذ رأى من ريم املاكه الخاصة ما يكفي للاتفاق على قصره والجيش لا يكلفه شيئاً فليس عليه من ثم الا ان يفشى الامن ويقيم ميزان العدل ويجمع المقاتلة اذا احتيج اليهم فكان الكونتية هم الذين يتولون هذه الوظائف ولكل مدينة (مثل تور انجر شارتر) كونت واحد وهو في العادة اعظم ارباب الاملاك في ذلك المقع فكان هذا الكونت يحكم باسم ملك في كورته وحكمه نافذ على من تحت يده فيدعو الحاربين للحملات ويطارد الاشقياء وكان كثيراً عددهم يومئذ ويجمع كل سنة عدة مجالس للحكم في الخلاء يحضرها ارباب الاملاك في تلك الكورة مدججين بأسلحتهم وكانت الكونتية في حاجة الى من يراقب حركاتهم اذ كانوا من السطوة والاستقلال في بلادهم حتى ان بعضهم دعوا انفسهم كونتية بنعمة من الله ولذا كانوا كثيراً ما يستعملون سلطانهم لاضطهاد السكان . قال الكايشوليرليون نريد ان لا يكره الكونتية الرجال الاحرار ان يجزوا لهم عشب مروجهم او يحصدوا لهم حصادهم وان لا يأخذوا بالقوة والاحتياط املاك الفقراء .

فكان المرسلون من قبل الملك يطوفون كل سنة البلاد ليراقبوا اعمال الكونتية فيجمعون السكان في كل بلد ويسألونهم عما يشتكون منه ثم يحملون الكونت على انصافهم مهددين اياه بغضب الملك عليه ولما سقط اعتبار الملك لم يستطع انقاد مرسله غدا كل كونت ملكاً صغيراً وتآلفت من كل كونتية مملكة صغرى

رجال الدين في الحكومة — اصبح الاساقفة ورؤساء الاديار منذ ذلك العهد من عليا القوم وارباب الاملاك الواسعة فيهم . ودخلوا على عهد شارلمان في الحكومة فكانت تعقد جلسة سنوية في قصر الملك للنظر في المسائل فيتشاور الاساقفة ورؤساء الاديان مع الكونتية ورجال الجيش واذ كانت هذه الفئات متورة اكثر من غيرها فهي التي كانت تسن القوانين وتدونها . وكان لكل مدينة كونتها وأُسقفها فجعل شارلمان الأسقف مساوياً للكونت وامرهما ان يحكما معاً قائلين اننا نريد ان يعين الاساقفة الكونتية ويساعد الكونتية الاساقفة ليتمكن كل من الفريقين ان يقوم بعمله حق القيام . فكان على الاسقف ان يحرم اللصوص والعصاة وعلى الكونت ان يكره بالقوة من كانوا يعصون الاسقف ومكافأة للسلطة التي منحها الامبراطور لرجال الدين اصبح هو نفسه زعيم الكنيسة او أسقف الاساقفة فكتب الى البابا : « ان من شأنى ان

أوقع عن كنيسة المسيح المقدسة في الخارج من سطوات الكافرين وإن اعزى عالي الداخل
بصر على اللاهوت الخليلي « فالامبراطور هو الذي يعين الاساقفة ورؤساء الادبار وهو
الذي يرأس الجامع المقدسة

ولم يكن ملوك الفرنج من ثغوب الفتن بحيث يميزون بين السلطة الزمنية والسلطة
الروحية بل كانوا يمزجونها ويجعلون زمامها في يد واحدة - وهذا المزج في السلطة هو
العلامة الفارقة في الحكومة الكارولنجية - فالتحت زمام عدة قرون بين الامبراطور
زعيم الدولة والبابا زعيم الكنيسة - ولم تقدم معاونة الاساقفة للكنوتية ابداً فقد كتب
شارلمان سنة ٨٨١ في مرسوم صدر عنه : أنا أريد ان تغلبوا باساقفتنا وكونوا تدينوا انكم
خاصة ولتحت عن السبب الذي من أجله لا يجهلون ان يعين بعضهم بعضاً وعندها
تجري المناقشة فتقرر الخطة التي يجب على الاسقف ان يخطها نفسه في المسائل القبلوية
والخطة التي يسير عليها الكنت او غيره من رجال الدنيا في المسائل الكنسية « وكان
هذا هو الحد الفاصل بين سلطة رجال الدين والحكومة التي يثبت عنها شارلمان ولكن
هذا الحد لم يوفق هو ولا أحد من امبراطورة القرون الوسطى الى التفرقة به

الجيش - عرف شارلمان بأنه زعيم المغالين فقد قام في حياته بثلاث وستين حملة
ولذلك قضت الحال ان يكون الشعب جيشاً يكفي تلك الحروب التي لا تفتأ قائمة -
كان جميع ارباب الاملاك من المزارعين الفراء بحسب عادة الشعوب الجرمانية فإذا أراد
الملك ان يجعل حملة يصدر أمره اليهم بالاجتماع في مكان بعينه فإذا بلغهم الامر
اليوم لامتناس لم من الوقوف على قدم الاستعداد لعدا اما المهرالف منهم فخرموص
غرامة شديدة وعلى الاساقفة ورؤساء الادبار من الخاصة ان يهيئوا الدعوة كما يهيئها
العامة والملك كتاباً للدعوة للاجتماع ورد على رئيس الدين قولاً : تأمركم ان تحضروا في
اجتماع يوم ٢٠ حزيران في رجالكم المسلحين المستعدين على ما يجب فخطبوا الى
الملك المعين وأنتم من الاستعداد على جانب يتيسر لكم معه ان تحاربوا في كل مكان
تأمركم به وتعني بذلك ان تكونوا مسلحين ثلثة اذواكم وذخايركم فيكون لكل فارس
ترس ورمح ولصنف سيف وسهم وجبهة مملوءة وتحمّل مركبة تحسّم أدوات مختلفة
الاجناس من مثل القروس والمراة والمكالب والمخار والمعاول والسماحي وغير ذلك
من الادوات التي يحتاج اليها في الجيش وتحمّلون موتكم من ثلاثة أشهر وسلاحاً
والسنة من سنة «

فكان يقضى على الغزاة ان يتجهزوا ويتسلحوا على نفقتهم ومن قل ما لهم يأتون
رجالاً وسلاحهم ترس طويل ولكن كل من كان لهم مال يجاربون فرساناً راكبين
ومدججين بشكبة حديد . وهذه الشكبة غير مستخدمة بل استعمالها الفرسان البارتيون
وكانت أجسام الفرسان الذين يقاتلون في الجيش الروماني في القرن السادس مملوكة
على تلك الصورة ولما أطلقت للحاربين حربتهم ان يتجهزوا كما يشاؤون أتوا من
الجهاز ما يقهر الخطر أكثر من غيره وهكذا لم يبق مشاة في الجيوش وفي أواخر القرن
التاسع لم يبق في أوروبا الغربية من المقاتلة الا الفرسان اللابسون للحديد وهو لاء هم
فرسان القرون الوسطى .

دستور الحكومة — ان المراسيم الصادرة عن شارلمان هي مجموع ما كتبه حكومته
وهي عبارة عن منشور ونقارير وكتب ولوائح بسيطة ولم يكن معظم هذه المنشورات الا
ابن ساعته صدرت في غرض خاص ولكن من القوانين ما يجب تطبيقه في المملكة كلها
وقد حفظ بعضها ودخل في مصطلحات الشعوب في القرون الوسطى .

الآداب والمدارس — كان شارلمان يحب الآداب حباً ساذجاً كما يجب غير المتعلمين
ان يروا أحياناً السطور المكتوبة يحبها لانها تترأى له انها غير منفصلة عن الدين المسيحي
واليك ما كتبه سنة ٧٨٧ الى جميع اساقفة مملكته وروساء اديارها : « احسنوا استعمال
ذكائكم بعد مشاورة المخلصين لنا فقد رأينا ان الأسقفيات والاديار في حكومة ما يجب
عليها زيادة على الحياة المنظمة والقيام بالدين المقدس ان تبذل غيرتها في درس الآداب
وان تعلمها الى من بقدر على تعلمها بعناية الله فان من يريدون ان يرضوا الخالق بان
يعيشوا عبثة راضية لا يتجاهلون في سبيل مرضاته بان يتكلموا اطيب الكلام . ولما
كان قد كتب اليها في السنين الاخيرة من عدة اديار يعرفونها ان الاخوان الذين يعيشون
فيها يضاعفون صلواتهم لنا فقد لاحظنا في معظم هذه المكتوبات التي فيها شعور الحق
كلاماً غثاً لا مئانة فيه ولذلك بدأنا نخوف من ان يقل العلم في أسلوب الكتابة وان
يفقد الذكاء فيكون اقل مما يجب لنفسه الكتب المقدسة ولذا نعرضكم ان تتنافسوا في
الغيرة على التعلم لتستطيعوا ان تحسنوا فهم الكتب المقدسة على أيسر وجه وتحيطوا
بأسرارها احاطة راسخة » وعليه فقد امر ان يكون في كل كنيسة كاتدرائية او دير
مدرسة فيكون في صحنها صف يقوم رجال الكنيسة على تخريج الاولاد فيه وكثيراً
ما كان يحضر شارلمان بنفسه في الدروس فيتعلم الاولاد القراءة والكتابة اللاتينية .

وترنيم الصلوات ومن هؤلاء الاولاد كان شارلمان يختار الاساقفة ورؤساء الاديان .
ولقد كان شارلمان يحب الادباء فجمع حوله عصابة بمجمع علمي مصغر ولقب
الرجال الذين يؤلفون هذا المجمع باسم رجل عظيم من القدماء فاسم الكوين هوراس
واسم اديلارد اوغسطينوس واسم انجيلير هو ميروس واسم تيودولف بينارد واسم شارلمان
داود . فيقضون الوقت في تأليف اشعار لاتينية وفي القراءة والانشاد وحل المعميات
والاحاجي واليك جملة مستخرجة مما كتبه الكوين: ماهي الكتابة ؟ — حافظه التاريخ —
ما الكلام ؟ — خيانة الفكر — من يولد الكلام ؟ — اللسان — ماهو اللسان ؟ —
المدق الذي يضرب الهواء — ماهو الهواء ؟ — حافظ الحياة — ماهي الحياة ؟ — فرج
السعداء وترح البائسين وتوقع الموت . »

والادبيات المأثورة عن هؤلاء الادباء يرغبون فيها مع انها صبيانية تشبه غمارين
ابناء المدارس ولم يكن للبرابرة من الثقة بانفسهم ما يجرون معه على ان يكونوا مبتكرين
هم انفسهم بل كانوا يطعمون كل الطمع في احتذاء مثال القدماء ولذلك لم يوفقوا الى
ايجاد ادبيات باقية على ان العناية التي بذلها شارلمان ورجال الدين وادباء عصره لم تكن
عقيمة بأمرها فانه منذ نحو قرنين لم يكن في غالباشي يشبه الادب وما قفا دونوا كتابا
بل ولا اخبارا وتكتب الكتابات الرسمية التي لا يستغنى عنها (كالمواثيق والحبات
والوصايا) باللغة اللاتينية البربرية وهي من رقى الخط بحيث يصعب حلها وبمد
شارلمان اصبحت اللغة اللاتينية مضبوطة جداً والكتابة مقروءة للعناية تكاد تشبه
الكتب المطبوعة .

خراب مملكة شارلمان — لم يطل عمر مملكة شارلمان فان الافرنج لم يستطيعوا ان
يقلعوا عن عاداتهم في ان يروا الممالك كالاملاك تقسم بعد موت الملك بين اولاده على
السواء بيد ان شارلمان نفسه وزع بلاده بين اولاده الثلاثة . فعاش لويز وحده
وورث الملك ورزق لويز هذا ثلاثة اولاد ايضا فاراد مستشاروه من رجال الكنيسة ان
يرث الملك بكر اولاده فقط لتبقى مملكة واحدة وعضد الغزاة الافرنج اصغر الاولاد
سنا ولكن غلب حزب الوحدة على امره فتعددت الممالك بتعدد اولاد كل ملك فكادت
نقل وتكثر على تلك النسبة . اما لقب الامبراطور فلم تلتأ تجزئته بل كان يطلق على
ملك واحد ويكون على العادة من اضعفهم سلطة مثل ملك ايطاليا وبعد سنة ٩٢٤ لم
يعد احد يليق لهذا اللقب . فرأى مؤلفو ذلك العهد والحزن آخذ منهم تلك المملكة

العظمى تفتت . وقد آلف فلوروس لشيئاً ليون مريثة بعد عقد عهدة فردون قال فيها : بدلاً من ملك لنا عدة أفيال وبدلاً من مملكة لنا أجزاء من مملكة . وما من أحد إذ ذاك كان يظن ان تلك القطع تصبح ابناً أمماً وان ذاك الاختلاف يكون ابرك من تلك الوحدة الرومانية

النظام الاقطاعي

المجتمع الاقطاعي

الطبقات الجديدة — اضمحلت في القرن العاشر القوانين الخاصة للام البربرية المختلفة فقبل سكان جميع اوروبا تقريباً عادات واحدة وأمتاز منذ ذاك الحين بعضهم عن الآخر لا بامتياز بل بفناتهم ومعلمهم ولم يعد يحرج ذكر اللافرنج (الفرنك) ولا للرومان ولا للبورغونديين بل أصبحت الشهرة للفرسان والسادة والشمامسة والفلاحين قال احد الاساقفة في القرن الحادي عشر ان بيت الله مثل قن ابنائه من يحارب ومنهم من يصلي وغيرهم يعمل . وبهذا المجتمع الجديد ابتداء نظام دام الى أواخر القرن الخامس عشر .

الفرسان — قضى على كل رجل حر منذ عهد شارلمان ان يكون جندياً وقد جاء بعض الاسباب من طردهم المسلمون يسكنون في اقليم لانكدوك فقال لويز لدونير وقد فطنهم أراضى يستقرونها انهم كسائر الرجال لحرار يذهبون الى الجيش . وكل من لا يريد ان يخدم الجندي او لا يستطيع ان يجهز نفسه للحرب يفقد حريته . فلم يكن غير رجال السلاح يعدون من اهل المجتمع ومنذ القرن التاسع كان الجندي يحارب راكباً حصاناً على الدوام (واصبحت كلمة ميل اللاتينية ومعناها الجندي مرادفة لكلمة فارس) فينتقل حاملاً من الفولاذ ورمحاً طويلاً من خشب الدردار ويحمل للتوقي من الفرب مجناً طويلاً من الخشب والجلد وبلبس في الوغى قميصاً مغشى بحلق الحديد وفي أواخر القرن الحادي عشر استعاض عن هذا القميص بآخر من زرد الحديد يصل الى الركبة ويغمر حتى الذقن والرأس محفوظاً بخوذة من الفولاذ والانب بمخبرين يتنفس منها . وهذا الجهاز ثقيل متشعب يقضي لاستخدامه عادة طويلة وخادم خاص ليحمل المجن ويضع الخوذة والدرع وهذا الخادم يسمى حامل المجن وباللاتينية (armiger) حامل الاسلحة

وفي القرن الحادي عشر انتهت الحال بهذا . الرجال المساحين ان يوتقوا منهم

طبقة وراثية فكان الابناء في أسرة من الفرسان يصبحون فرساناً والبنات الفرسان لا يتزوجن الا من فرسان ولا يحق لاحد ان يذبح فارساً الا اذا كان ابن فارس .
ولدت الفروسية صناعة بل منصب ورتبة ولم يكتشف الفرسان على ذلك العهد ان يكونوا رجالاً أحراراً بل دعوا انفسهم « الاشراف » ودخل في تلك الطبقة الممتازة الخدمة وحاملوا الجان من بعد القرن الثالث عشر فاصبحت كلمنا فارس وحامل الجان مرادفتين لكلمة شريف .

السادة — كل رجل عظيم في هذا المجتمع العسكري بأسره بعد رجل حرب حتى الكوثية والدوقات والملوك فبين الفرسان اذاً كثير من كبار ارباب الاملاك وقد نالوا من الملك املاكاً عظيمة على سبيل الهبة او ورثوها من آباءهم وتكون هذه الاملاك على الاقل قرية بربتها وفي الاعم الاغاب ان تكون عدة قرى . ويدعى هؤلاء المالكون العظام بحسب البلاد فتمنى « البارونات » الرجال ومعنى « سير » او « سنيور » السادة او الاغنياء ويلقب نساؤهم بدام اي سيده . واذ كان اولئك السادة اغنياء فهم في حل من ان يأخذوا لخدمتهم فرساناً آخرين ويذهبوا الى الحرب في رأس جيش صغير واصطاحوا على اقتناذ علم لم يجتمعون تحته فيضم من شملهم ولذلك سموا العلمين

Bannerets

المعطايا والاقطاعات — اعتاد المقاتلة البرابرة منذ عهد شارلمان ان يقسموا للزعيم الذي يقو بالانفاق عليهم بالاخلاص له والاستانة دونه فالمقاتل عند ما يقسم هذا اليمين والزعيم متى قبله يكون اربابهم طول الحياة فكان الزعيم يدعو المقاتل أميني او رجلي او مقاطعي او عبيدي وهذا يسمى زعيمه سيدي فالمقاطع يصحب سيده الى الحرب ويخدمه حتى على المائدة فكان خادمه ورفيقه في الحرب . والسيد يؤدي اليه لقاء خدمته ما يعوله ويعطيه اسلحة والبسة وحصاناً واحياناً يعطيه ملكاً

ولقد اصبحت العادة في الافضال على المقاطعين باراض يستثرونها عامة سيف فرنسا اواخر القرن التاسع (وربما نشأ ذلك من تكون رجال الحرب نادرين سيفه البلاد الفرنسية) فالارض تعطى لقاء اجرة اقطاعاً او مستعمرة ثم اصبح سيف حكم العادة المطلقة ان كل مقاطع يتناول اقطاعاً وانه لا سبيل الى ان يملك المرء اقطاعاً ان لم يكن مقاطعاً لاحد ارباب الاملاك . واذا مات الاقطاعي يحق لابنه ان يخلفه وه كذا يشولى الفرسان ابا عن جد شؤون اقطاعاتهم فيغدور مستقلين عن ساداتهم الا قليلاً ثم ان

السادة اقساموا السادات اعلى منهم بان املاكهم نالوها منهم على سبيل الاقطاع فيقسم الدوقات والكونتية للملك الذي كان يمنحهم الحكم اقطاعاً . ويكاد يكون جميع السادات سادة ومقاطعين في آن واحد والاراضي الاقليلاً كانت تعتبر اقطاعات ومن هنا نشأ نظامها .

وهذا النظام الذي وضع في القرن العاشر قماً بشبه طرائد عهد شارلمان على ان الانشاء والاعتبارات بقيت بحالها فان المقاطع يقسم ايضاً فيما يرتبط بها مدى الحياة وهذا ما يدعونه العطية سموها *Hommage* لانها تجعل المقاطع رجل السيد واليه الصورة الشائعة في هذا الباب : ايها السيد لقد أصبحت من رجالك صاحب الاقطاع الفلاني واحكم ان ارعى لكم حقكم وادفع عنكم كيد كل من يحيا ويموت . وبعد المقاطع لسيد الاخلاص له والمعاونة والمشورة ومعنى الاخلاص ان لا يضم مقاطعته ولا يقاتله ولا يعتدي على امرأته واولاده . ومعنى المعاونة له ان يعاونه سواء كان في المقاتلة دونه او في انزاله احسن منزل واعطائه دراهم ومعنى المشورة ان يتقرب منه ينصحه ويعينه خصوصاً على الحكم والتصدر . وانتهت هذه الواجبات بان ضعفت وقلت حتى ان العطية لم تكن الاصطلاحات مألوقة ولما غلب جو فروي دانتجو تهبو دي بلوا في القرن الحادي عشر اضطره ان يتنازل له عن كونتية تور على سبيل المقاطعة وان يعطي لاسيره عطية

رجال الدين — كان ينظر الى رجال الدين (اعضاء الكهنوت) بانهم خدمة الله وكانوا قادرين بفنهم ايضاً . ويعتقدون ان اعطاء مال او اراضي للكنيسة كان من آكد الاسباب لمحو السيئات وانقاذ الروح فكان زعيم الكنيسة المقدس والرهبان خدمة لـ *قديس* يكافئون المعطي بتدخلهم في امره مع الله . وقد عثر في عطية خصصت لاحدى الكنائس المخصصة للـ *قديس* ايتن (١١٤٥) مانحه : « اعطيت الى ايتن الشهير العظيم جزءاً من ارضي في الارض ليكون لي من صلواته وصلوات اتباعه المغفرة عن خطيئاتي والعجاة الابدية » وكانت حوكه الهبات تبدأ بالعبارات الآتية : « علاجاً لروحي وارواح اجدادي » وحياناً يزيدون لدفن جسدي ولذلك يهب الواهبون اموالهم ليدفنوا في الكنيسة تفعها . فكان رجال الدين يأخذون احياناً قرصاً يرمته وهي عطايا السادات العظام وحياناً قطع ارض او ملكاً وهي عطايا الفرسان والفلاحين فالدير الذي يبدأ بان يمنح ملكاً واحداً يملك مئات من القرص

بعد والاساقفة وروماء الاديار وهم اصحاب تلك الاملاك العظيمة يصحون سادة عظما
ليس بعد عظمتهم عظيمة .

العامة — اصبح جميع ارباب الاملاك خلال حروب القرن التاسع يكرهون على
الحضور الى الجيش وكانوا الاقليلا من حلقة الفرسان فالارض كانت من ثم ملك
الكنائس والسادات والفرسان وكلهم من كبار ارباب الاملاك لا يزرعون بانفسهم
وكانوا منقسمين الى محلات كبرى تسمى المدن وفي العادة ان المدينة كانت عبارة
عما ندعوه اليوم قرية والجملة كانت بسعتها كالمديرية . وتكاد تكون جميع القرى
الفرنسية يرد عهدا الى تاريخ هذه المحلات في القرون الوسطى فالفلاحون الذين
سكنوا هذه المدن سموا باسمها فسموهم العامة فلم يكونوا مالكيين للارض بل كانوا يتوفرون
على زرعها فقط فمنهم من كان من قدماء الرجال الاحرار الفقراء دخلوا في خدمة
ارباب الاملاك كالمستعمرين او المزارعين ويسمون الاحرار والآخرين هم من نسل
قدماء عبيد ارباب الاملاك ويدعون باسم العبيد الرومانيين وهو لاهم العبيد على ان
العبد لم يكن كما كان العبد الروماني بل كان ساكنا في الارض التي يتوفر على زراعتها
وله امرأة وبيت وحقل فسيده لم يكن يستطيع ان يجليه عن قربته ببيعه الى مكان
بعيد ولا ان يأخذ امرأته واولاده ولا ان يأخذ منه داره ولا الحقل الذي كان تركه
لاجدادهم وما كان العبد اذا تخطأ في درجته عن العامي الحر

حالة العامة — كان في المحلة العظمى في القرون الوسطى نوهان من الاراضي .
فبعضها (وهو القسم الاعظم) ترك للفلاحين يحرثونها ويحفظون بغلاتها والآخر (وفي
العادة ان تكون الاملاك القريبة من دار السيد) بقي لصاحب الملك ويقضى على
الفلاحين ان يحرثوها ويزرعوها ويحصدوها وفي ايامنا ترى الزراع عند ما يكونون غير
مالكيين هم عملة بالمياومة او مزارعوهم وزراع القرون الوسطى هم مزارعون في ارضهم وعملة
بالاجرة في اراضي المالك وهم بعضهم مع البعض من الاب الى الابن وصاحب الملك
لا يستطيع ان يأخذ ارضهم التي يشغلونها وهم يتوارثونها كما يتوارث الملك ولكنهم لقاء
ذلك يتعملون عدة اعمال وحقوق اقطاعية

(١) يعطون المالك اجرة الارض وضرائب ومخصصات من الخنطة والعلف والبيض
والدجاج ويسمون بها العادات لانها مقررة بحكم العادة ويميز الفلاحون العادات الجميلة
اي المخصصات الموضوعة من القديم عن العادات السيئة من مخصصات يضعها السيد

بالقوة خلافاً للعادة

(٢) يجب عليهم ان يذهبوا الى ارض السيد بحرثونها ويحصدونها ويسعدونها ويقصونها ويحففونها ويقطعون الخشب ويأتون بالقش وهذه هي السخرة .
(٣) عليهم ان يحملوا حنطتهم لطحنها في طاحون السيد وان ينقلوا الخبز الى فرن السيد ويحملوا العنب الى معصرته ويجب عليهم ان يدفعوا عن هذه الخدمة المقررة عليهم ما يقتضي لها من النفقات كما يحتم عليهم في السوق ان يستخدموا قياس السيد وميزانه ويدفعوا اجرتهما .

(٤) يتقاضون في قضاياهم الى السيد واذا ارتكبوا جفئة يدفعون للسيد غرامة يأخذها لنفسه واذا ارتكبوا جريمة يحكم عليهم السيد بالاعدام ويصادر جميع ما يملكون .
والعدل اي حق جباية الغرامات هو دخل يقسرب الى جيب السيد وبعد سيفه جملة ما يملكه فيقول السيد : عدلي في المحلة الفلانية . فهو يبيعه ويعطيه اقطاعاً ويقسمه بين بنيه وليس من الامور النادرة ان يملك فارس نصف اربع القضاء في قرية او القضاء في بعض البيوت . وينهب السيد سيفه ارضه مشنقة رمزاً الى حقته والصوص الذين يصلهم عليها دليل ناطق بحقه . في هذا الشأن . واذا تنازع سيدان في تولي احكام العدل في قرية (كما يحدث احياناً) يجي رجال السيد المطالب بزعون المصلوب ويأتون به الى مشنقة سيدهم واذا ربح القضية السيد الذي صلب المصلوب تعاد اليه جثة مصلوبه والا فيرجع اليه قميص مملوء ثياباً بدله ويميد الجثة او صررتها

فالعامة خاضعون كل الخضوع لسيدهم ولا يحق لهم ان يجتمعوا لفض مصالحهم واذا فعلوا يغرمهم بغرامات باهظة فهو قاضيتهم الوحيد . قال احد مشرعي القرن الثالث عشر : انك يا هذا اذا اخذت شيئاً من عبدك زيادة على المخصص لك في القانون تأخذه وانت على خطر كما يأخذه اللص وليس ينك وبين عامليك من قاض الا الله . ومع هذا الحال العامة كان اقل شدة مما كان عليه حال الفلاحين العبيد في القديم ولكنهم ليسوا بعدا حراً حقيقة فالفرسان يحترقونهم لانهم يشغلون في الارض ولانهم عزل من السلاح واصبحت كلمة عامي في لسانهم مرادفة لكلمة نذل .

(١) ندر جداً ان قام الفلاحون بثورة في القرون الوسطى ولانعلم من ثوراتهم سوى ثورة ٩٩٧ في نورمنديا وثورة الفطائع المعروفة بالحاكية في القرن الرابع عشر مما يدل على ان الفلاحين كانوا راضين عن حالتهم بل انهم لم يكونوا يدرجون الخروج من حالتهم

الاخلاق

الحروب — جرت عادة الفرسان ان يتقاتلوا عادة لم تصبح قاعدة فيحق لكل رجل بعمل السلاح ان يخوض غمار الحرب لاهانة تلحق به اولاهتداء على محله فيبحث الفارس الى خصمه فغازه او بعض شعرات من خروفيه دليل اعلان الحرب . وبدخل اتباع الخصمين وذوو قرباهما في الحرب شأوا اماً ابوا وبنشالون على محلات العدو يستاقون ماشيته وبعاصرون قصره ويحاولون القبض عليه ليفندي نفسه منهم . وتصبح الحرب من ثم لعباً وتجارة فاللعب ليس فيه خطر كبير على المسلحين من الرجال بالدروع . واليك كيف وصف اوردر بك فيثال حرب بريمول (١١١٩) بين ملك فرنسا وملك انكلترا: بقي ١٤٠ فارساً أسرى عند الغالب ولكنني علمت انه لم يقتل من التسعمائة شخص الذين حاربوا سوى ثلاثة اشخاص فقط وذلك لانهم كانوا مكتسبين كلهم بالحديد من مفرقهم الى قدمهم وكان خوف الله والاخوة في حمل السلاح تدعوهم الى الاقتصاد على الطعام والتوقف في ضرب الاقران فيؤثر القرن ان يأمر صاحبه على ان يقتله . وكثيراً ما يرى الفرسان من الاوفى ان يطلبوا من الفلاحين والتجار الفدى فتقلب الحرب الى لصوصية . وكان في عامة البلاد سادة على مثال تومادي مارل الذي كان يستوقف التجار على الطرق ويسلبهم اثقالهم ويسجنهم في سجن قصره ويعذبهم ليكرهم على ان يفتدوا منه انفسهم . وقد ظل حتى الحرب مرعياً في كثير من الولايات الى القرن الخامس عشر فلم يرد الفرسان ان يتخلوا عنه فكانت الحرب شغلهم الشاغل طول حياتهم . واليك كيف قص فوك كونت دأنجو سير خاله جوفروي : « ان خالي صار فارساً سيف حياة ابيه وكانت حربه الاولى هي التي شهرها على جيرانه فقام بقناطين احدهما على كونت بوانو والاخر على كونت مين واسرهما كليهما وحارب اباه ايضاً ^(١) ولما قضى ابوه صارت اليه كونتية آنجو فخارب كونت بلوا وأسر في الف من فرسانه واضطره الى ان يتخلى له عن تورين ثم حارب غليوم حاكم نورمنديا وحارب كونت بويرج وكونت بوانو وفيكونت نوار وكونت فانت وكونتية البريتونيين في رين وهوغ كونت مين الذي سي خان عهده . ومن اجل هذه الحروب وما بذله فيها من الشجاعة لقب بمارتل وحسنت خاتمته لانه رجع عن الفروسية وعن زخارف هذه الدنيا قبل وفاته بلبلة وترهب في (١) اضطر جوفروي هذه المرة الى الخضوع فأكراهه ابوه بحسب عادة جرمانية قديمة ان يجي بتمثل امامه على بدبه ورجليه وجل فرس على ظهره

دير القديس نقولا الذي بناه هو وابوه تزهداً ووقفوا عليه الوقوف من الاملاك
الابراج والقصور — كان السادة في عهد تلك الحروب في حاجة الى تحصين بيوتهم
وكان التحصين في القرن العاشر مشعباً جداً وهو عبارة عن حفرة عميقة يحميها من
الخارج منحدر عليه هرائش واشجار وفي وسط ذلك السور ينشؤون أكمة وبيت السيد
بني في ذروتها وما هو الا برج قوي من الخشب وبابه عال جداً عن سطح الارض ولا
سبيل الى الوصول اليه الا بالمرور على لوح من الخشب متحرك منحدر من الباب الى آخر
الخنديق . ولتم العدو من احراق البرج بغطائه بجلود حيوانات سلخت حديثاً . وهذه
القلمة الغليظة هي البرج او بيت السيد اما سائر الاماكن فتعمر في السور في سفح الاكمة
(فمنها مساكن للخدم واصطبلات واهراء) وكلها من توابع البرج .

واخذ القوم في القرن الحادي عشر (في بلاد الجنوب اولاً) يستعيضون عن
العرائش وبرج الخشب بحائط و برج من الحجر على نحو ما كان للرومان حوالى مدنتهم
الحصينة وسموا هذه القلاع باسم لانيي كاستل او قصر (موقع صغير حصين) فقصر
القرنين الثاني عشر والثالث عشر عبارة عن سور من الحجر على جوانبه ابراج وهو محاط
من كل جانب بخنادق عميقة او هوى وهاد وقد بنيت عند الاستطاعة في مكان
حصين على منحدر عقبة كورد او شقيف في ارض سهلة على اكمة صناعية فيها انواع الدفاع
فاذا جاء العدو يرى اولاً في مقدمة الخندق ما يصد عنه المرمى ثم الخندق الذي يجتازه
سكان القصر يصل بينهما معبر نقال معاق بسلاسل وعليه حواجز ثم يصل الى اسفل
حوائط السور التي اغلظوا سمكها ويقف المدافعون على الطريق المدور الذي يمتد في
الداخل على الحائط فيقذفون السهام والحجارة من الشرفات (زغاليل) ومما في الخشب
المعلقة فيحتوي على مساكن اهل القصر والحاربين والاصطبلات والحظائر والاهراء
والكنيسة وبيت السيد وهذا البيت هو برج جسيم (من طراز بوجانسي من القرن
الحادي عشر علوه اربعون متراً وعمقه ٢٤ وطراز كومي من القرن الثالث عشر علوه
٦٤ متراً وعمقه ٣١) وهناك القاعة العظمى التي يستقبل فيها السيد ضيوفه (للسادات
المظام فقط خارج قصورهم ردهة استقبال وهي القصر) وغرفة منامه وغرف أسرته
وخزائنه وسجلاته وفي ذروة ذلك المكان السطح الذي يشرف منه الديدبان على الفواحي
وفي الاسفل على طبقتين من الارض المحبس او المطبق وهو مظلم رطب لا يخرج منه الا
بسلم . فاذا دام العدو السور يستطيع المحاصرون الذين يعتصمون في القصر ان يدافعوا

عنه رويداً رويداً وطبقة طبقة مادام الدرج الدوار ضيقاً . ويعيش السيد في قصره وباسمه يعرف بعد فيسمى بوشاردي مونمورانسي أو أنجراند دي كومي . وللفارس كذلك بيت حصين و يطلق اسم بيته على اسم أسرته

الفروسية — اسلحة الفرسان ثقيلة الجرم فالواجب ان يتعلم الفارس استعمالها وحملها امتياز يجب ان يرخص للمرء بحملها فالمرء لا يولد فارساً حق ولو كان ملكاً فمن القواعد المطلقة ان لا يكون المرء فارساً الا بعد التخرج في ذلك والاحتفال به . فعلى الشاب اللبى ان يتقن على ركوب الخيل وان يحسن الضرب بالرمح والحسام وان يصمد السلم . وما دام يتقن على ذلك في بيت ابيه يبحث به ابوه الى سيد من اصحابه فيصبح الشاب بعد بضع سنين خادماً يحمل اسلحة معلمه فيقوم صكراؤه ويعنى بتربيتها ولباسه شكته ويخدمه على مائدة . ويجعله في فراشه . فقد كان القدماء يرون من أعظم العار ان يخدم الانسان انساناً فلما اتى البربر اصححت الخدمة من أمارات الشرف فالناس يخدم الفارس وهذا يخدم سيده القوامسة (والكونتية) والدوقات ايضا يخدمون الملك على المائدة في الحفلات .

فاذا بلغ السائس أشده يقبله احد الفرسان في جملة رجاله باحتفال وكان هذا ساذجاً اولاً والفارس يدفع الى المبتدي سلاح فارس وهو عبارة عن ترس ودرع ورمح . ثم يصفعه على فقرته بجمع يده فالفارس الجديد يقفز على السرج ويرمح قليلاً وحيثما يتساقط مع مجدار (شخص من خشب) منصوب امام القصر وبهذا يكون الفارس فارساً وبعد حين حوالى القرن الثالث عشر اضيفت الى هذه الحفلة حفلات دينية في الكنيسة فيقام قداس وصلوات ووعظ بوجه الى الفارس اما العادات الفخمة في قبول الفارس على ما يعرفونها في الافاصيص الحديثة فلم توضع الا في القرن الخامس عشر . ولكل سائس الحق ان يصبح فارساً ولكن الواجب ان يكون غنياً ليجهز بالسلاح والعدة ويعول سائساً وخدماء ولذلك بقي معظم الشرفاء سواً طويلاً حياتهم

اخلاق الفرسان — لا يمتاز شرفاء القرون الوسطى عن الفلاحين بشعهم ولا بتهدبهم فمعظمهم لم يكونوا يعرفون القراءة وما شأنهم الا الشرب والطعام والعييد والحرب وكانوا في العادة متوحشين قساة وحيثما جفا غلاظاً فقد قتل ريشاردس قلب الاسد مثال الفروسية ٣٥٠٠ اسير من العرب وقد فقأ عيون خمسة عشر فارساً أسروا في حرب اثارها على فيليب اوغسطس واعادهم الى ملك فرنسا تاركاً لم دليلاً منهم ابق

له عينا واحدة يبصر بها فأجابه فيليب أوغسطس على عمله بأن فقاً عيون خمسة عشر فارساً من فرسان ريشاردس وأعادهم إليهم تحت قيادة امرأة حتى لا يظن أحد كما قال مادحه بأنه دون ريشاردس قوة وشجاعة ولا أن يذهب إلى أنه يخافه . وفي سنة ١١١٩ فقاً أوستاش دي بروئل أحد كبار السادة النورمانديين وصهر ملك انكلترا عوفي أحد الأسراف الذين كانوا عنده رهينة فاحتال والد المغلوقة عينه أن اخذ بنات أوستاش بواسطة جدم وفقاً عيونهن وجدع أنوفهن . وهذا الاغراق في الشدة والقوة البربرية لم يزل مألوفاً إلى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر . وقد أصبح الفرسان بحجة التشرد على هذا النحو قساة القلوب غلاظ الطباع ولكن منعتهم بعض الفضائل التي تطلبها الحروب وجعلتهم شجعاناً مقارحين . والفارس السام الأدوات الذي يتقن الشعراء بمديحه ويحاول كل انسان تقليده هو الشجاع أو صاحب الامانة والتدبير . وكانوا اذا سلحوا فارساً يقولون له : كن شجاعاً . والشجاع في عرفهم هو المقدم المفاخر الصادق الذي لا يتكلم بشيء ولا يرجع عن قوله ولا يهتم أبداً اهانة . فالشجاعة والصدق كانت ودامت الصفات الرئيسية في الشرف . والشجاعة معتبرة لا من حيث الخدم التي تؤدونها بل لانهم كانوا يرونها جميلة في ذاتها والفارس قد يقتل نفسه حتى على غير جدوى لئلا يخالف أحداً شك بأنه أوجس خيفة . والموت خير من أن يدعى الرجل تدلاً كما جاء في قصيدة قديمة . وعلى الفارس أن يكون صادقاً براً بوعده وقوله وبفضح خاضة اذا خان يمين الاخلاص الذي يقسمه لسيده ويكون كاذباً في ايمانه خائناً في فروسيته ومن العادة في برشلونة أن من علم سيده يده أو طعنه بلسانه أو استباح قصره واستغفاه هو من اعظم من ارتكبوا اعظم الخيانات . يفهم ذلك من روح عدة قصائد نطمت في القرون الوسطى . فقد اضطر رونوذي مونتيبان أن يعلن الحرب على سيده شارلمان فهاذر أن يؤذيه اقل ابناءه ولما أسره وقع على رجله طالباً الصنع عنه . ولقد نال بزيه تابع راول دي كامبري ما جلب عليه العار من سيده فسأله سائر الفرسان كيف يستطيع أن يظل على خدمته فاجاب : ان راولاً هو سيدي هو أكثر خيائته من جودا ولكنه سيدي فقالوا لم اجمعون انك محق يا بريه

الشرف — يفاخر الفارس أنه شريف وجندي ويعرف لنفسه فضلاً فلا يشك فيه أحد بل ولا يلحظ ذلك . وليس على أحد أن يضربه أو يهينه أو يعاكره لأن ذلك مما يؤذي إلى أنه متهم بانانته وهو ايضاً لا يتحمل ضرباً ولا اهانة ولا تكذيباً وبشراً

شرفه في انظار الفرسان وفي نظر نفسه اذا لم ينتقم لقاتله ممن رماه بالمار والشارب. وهذا الشور هو الشرف وهو نتيجة كبرياء او اعجاب شديد فهو ينزل نفسه منزلة رفيعة ويشعر بالحاجة بانه يريد ان يشركه غيره بهذا الفكر . ولم يكن لليونان ولا للرومان لفظ للتعبير عن هذه الصفة بل انها ذات في القرون الوسطى وستظل الى ايامنا دليل الشريف الحقيقي . ف نقطة الشرف والرغبة في بقاء الشرف مسلماً يصيح قاعدة سلوك الاشرف ومنقذاً لمكانتهم

حكومة الاقطاعات

استقلال ارباب الاملاك — ضعفت سلطة الملك منذ القرن التاسع فضعفت طاعة رعيته فاعتمد السادات من المائة والخاصة ان يكونوا مستقلين في بيوتهم فكل صاحب ملك (فارساً كان او رئيس دير) هو كالمليك الصغير في املاكه فحراؤه وخدمته هم رعاياه وله الحق ان يقودهم ويغرمهم ويحبسهم ويستنقم وله مشقة خاصة وله مناد يبلغ او امره الى السكان ويحارب جيوشه وكثيراً ما يصك نقوداً . قال احد فقهاء القرن الثالث عشر ان كل بارون هو مليك في ارضه . وكل محلة هي مملكة صغيرة بحيث ان رجال ذاك الحي يدعون اهل القرية المجاورة غرباء عنهم وكان في البلاد عدة الوف من هؤلاء الاقبيال وكثيرون هم فرسان فقط لا يملكون الا قرية واحدة اما غيرهم من الاغنياء فيلقبون بالفاظ سير وبارون ثم ان في كل ولاية رجالاً يلقب بلقب كونت او الديق ويكون اعظم ارباب الاملاك في الولاية ولم يكن اجسادهم على عهد شارلمان سوى حكام في خدمة الملك بيد ان الملك في القرن العاشر لم يكن له قوة ليستعيد منهم السلطة لانهم اسحبوا كونتية ودوقات ابا عن جد واصبحت دوقياتهم وكونتيتهم اقطاعاتاً اعلى ملكاً وهي كساتر الاملاك يمكن بيعها ووقفها وتقسيمها ايضاً كما وقع لدوقية ناسكونيا (او ان نفعم الى غيرها) كما وقع لكونتية تولوز وشامباينا . واذا لم يعقب صاحبها ولدأ ذكرأ انتقل املاكه الى ابنته ويكون لها منها بائنة (دوطنة) تعطى لها زوجها (ويقال عندها ان الملك صار لامرأة) واذا ذلك يكون لكل مالك في مملكة سلطة ملك وكل ملك يحول مملكته كملك . وقد بانث بهم الحال ان يمزجوا بين التملك والملك ولذلك كانت جميع سياسة الملوك في القرون الوسطى سياسة بيوت وامرات وكل ملك كالفلاح لعهدها يحاول ان يوسع مملكته وان يحول عياله الملك — كان الملك اعلى سادات فرنسا كهياً وارقام منزلة وله لقب سام ويخضع له

الجميع ولكنه لم يكن اقدرهم بل كان لدوق نورمنديا وكونت تولوز املاك اوسع من املاكه ولم يكن بين الاخلاص الذي يرتبط به اوائك السادة العظام مع الملك الا عبارة عن حافلة اديبة لا يمنهم من ان يعلتوا الحرب عليه حتى انهم كانوا اذا لم يريدوا نقض العهد علكا قلما يتضايقون منه . وقد وضع روبرت كونت فلاندر سنة ١١٠١ وفي عهدة عقدتها مع ملك انكلترا الشرط الآتي: اذا هاجم لويس ملك فرنسا الملك هنري في نورمنديا يذهب روبرت في عشرة من الفرسان فقط الى جيش لويس وبيق الخمسمائة فارس الآخرون في خدمة الملك هنري واذا زحف الملك لويس على انكلترا وأخذ معه الكونت يقيم على الكونت ان يأخذ معه ايضاً اقل ما يمكن من الرجال . ولقد بلغ التعجب مبلغه في بلاط لويس السابع عند ما جاء أسقف ماند الى باريز يعترف بسلطة ملك فرنسا وقيل ان هذا البلد لم يخضع قط الا لاسقفه ولم يكن الملك كسائر السادة مطاعاً الا في محلته واقتضى له اذا اراد ان يطاع في مملكة فرنسا ان يوسم املاكه على صر القرون ويدخل ولاياتها في ملكه الواحدة بعد الاخرى .

العادة - لم يكن لاهل القرون الوسطى قوانين محررة بل كانوا يعملون في كل مسألة بماسلف لاجدادهم منها ويسمون ذلك اتباع العادة ولم تكن العادة مكتوبة بل كانت تحفظ تقليداً حتى في القرن الثالث عشر ايضاً اذا حدث حادث مشتببه به يجمع اقدم السكان ويسألون عما راوه يعمل في مثل هذا الشأن وهكذا كان لكل قرية عادتها حدثت مع الزمن ولم تكن تنبيه عادة القرية المحاورة قال بوماناورا لا يوجد سيف في هذه المملكة سيدان حاكمان يعملان بعادة واحدة ومع هذا فان الصقع الواحد الذي تشابه عاداته بعض الشيء يتألف منها عادة واحدة . والفرق الكبير كان بين بلاد الشمال حيث العادة كانت منبعثة من العادات الجرمانية وبين بلاد الجنوب التي احتفظت بعادات الحقوق الرومانية . وبعد فند كان اهل القرون الوسطى يحبون العادة ويحرمونها لانها كانت القاعدة الوحيدة التي يهرعون اليها والسد الوحيد في وجه الظلم وعندما ان العادة يجب بقاؤها ومن لا يحفظها يوشك ان يفتح سبيل الخصاص الكثير بين الناس .

السلم والمعدل - كان ارباب الاملاك في القرون الوسطى يولدون دعائم السلام بين عبيد محلتهم ويحكمون بينهم (احكاماً تختلف جوراً وعدلاً) وأكث لم يولد احد دعائم السلام بين ارباب الاملاك وكل منهم يحكم نفسه بنفسه وذلك باظهار

الحرب على جاره و يقتضي لتقرير السلام ان يعدل الفرسان عن عادتهم في التفاضل الى السلاح وان يقبلوا بعض قضاياهم في محكمة وان يستعاض عن الحروب بقضايا ولذا كان لفظ سلم وعدل من الالفاظ المترادفة في القرون الوسطى واقد كان للملك في بعض البلاد (مثل نورمنديا وانكلترا ونابل واسبانيا) من الاقتدار ما يستطيع معه ان يكره الفرسان ان يحفظوا السلم للملك او للدوق وحاول الاساقفة في البلاد الاخرى ان يقنعوا الفرسان بتوطيد سلام الله ولكنهم لم يفلحوا ان يؤسسوا محكمة منتظمة .

فاذا اختصم اثنان من ارباب الاملاك قد يقرر جيرانها بان يقضوا الخلاف بينهما بواسطة محكمين او ان يكون سيدهما من السلطة بحيث يكرهها على المشول امامه وفي تلك الحال ينظر في الخلاف ضباط قصره وبعض الفرسان المجاورين وهذا ما يسمى محكمة السيد ولكن هذا الفصل متقطع وغير نافذ احيانا لان من يخسر في الحكم لا يسمعه الا ان يعود الى القتال . فقد كان هوغ في القرن الحادي عشر احد النابعين لاسقفية كامبري يستوقف تجار المدن و يقطع لحام و يطلب الفداء منهم و يخرب قرى الاسقف . فطلبه سيده هذا ثلاث مرات متتابعة ثم مثل بين يديه ولكنه ابى ان يعطي اقل تعويض فحكم فرسان محكمة الاسقف عليه بانه يؤخذ منه اقطاعه فلم يهتم هوغ بالامر وعاد الى منزله وبعد مدة اوقف الاسقف بالذات .

المبارزة — كانت قضية من القضايا التي ينظر فيها الفرسان في محاكمهم اشبه بحرب فتى اجتمع الخصمان يتضارب احدهما وصاحبه ومن فاز ربح القضية وكان يذهب القوم اذ ذاك الى ان الله كتب له الغلبة لانه محق في امره وهذا ما يسمونه بالقتال او المبارزة . فالقضاة الذين ثألف منهم المملكة يعددون الى ان يحلفوا الخصمين بانهما يزعمان بان مع كل منهما الحق وان يحتطوا الارض التي تقع فيها المبارزة وان يراقبوهما . فالمحكمة تأمر بالمبارزة لا عند حدوث جريمة او اهانة بل لابت في امر محتمل ان تكون وفي اي قاعدة في العدل يجب اتباعها . وقد تبارز خصمان في القرن الثالث عشر بامر الفونس ملك قشتالة للحكم فيما اذا كان يدخل القانون الروماني الى مملكته . وكان الفرسان يعتبرون المبارزة اسهل ذريعة واثمرفها للبت في قضية فلم يكن اذ ذاك مناقشة تجريبية ولا حجة بدلي بها فلا جواب يجاب به الخصم الا القتال .

ولم تؤلف المبارزة فقط في محاكم الفرسان بل في محاكم المدن بين اهل الطبقة الوسطى و احيانا بين الفلاحين في البرية فيتسلح المتقاتلون باتروس والعصا واذا كان احد الخصمين ليس

من القوة بحيث يستطيع البراز يعد إلى آخر يتوب عنه فكان القتال يجري في باريز حتى في محكمة الأسقف ولقد وقع شك في هذه العادة فسئل البابا اوجين الثالث رأيه فاجاب عليهم باستعمال عاداتكم .

ولقد تأصلت عادة البراز تأصلاً تعذر معه استئصالها ولما ألغى البراز في المحاكم ظل ينظر إليه بأنه الوسيلة الوحيدة في قضايا استرداد الشرف المثلوم فهو كالمرؤة بقية ما ابتته القرون الوسطى من عاداتها ولم يبق الا بفضل الاباء والمرءة

حكم الله — لا يستطيع النساء ان يتبارزن وكثيراً ما يمنع منه الفلاحون وفي تلك الحال يعمد القوم الى استخدام ضرب آخر من ضروب احكام الله . فبعد قداس او صلوات تقام غانية للتوسل الى الله ان يظهر الحق كان يقضى على الرجل او المرأة بان يحمل حديدة محمأة بضع خطوات او ان يغمس يده في اجانة ماء مغلي فاذا نجت يده بعد بضعة ايام من الجرح فتحكم الله يكون له . واحياناً كانوا يلتقون به في مستنقع الماء فاذا غرق فقد ربح واذا عام فقد خسر وينتاهم على ان يلقوه في الماء يستعلف الكاهن الماء بهذا الكلام : يا امه أناشدك الله القادر الذي خلقك وامرك بان تقوم بمجاهات الانسان بان لا تقبل هذا الرجل اذا كان مجرمًا بل اجعليه يطوف على وجهك . واحياناً يكتفون بان يبلع المشتكى عليه قطعة من الخبز والجبن بعد ان يكونوا استخلفوهما بان يبقيا في حانئ المشتكى عليه اذا كان كاذباً . وهذه المحن يسمونها الحكم . وقد كتبت الكنيسة كتاباً في الطقوس لكل واحد منها ولما اجتمع المجمع العام في لاتران سنة ١٢١٥ امر بالغاء هذه الكتب

الكنيسة في القرون الوسطى

تنظيم الكنيسة

الأسقفيات — احتفظت عامة المدن في المملكة الرومانية القديمة بأسقفياتها وابرشياتها . وكما كانت البلاد في المانيا تدين بالنصرانية كان الملوك ينشئون كرامى اساقفة . فكان ان الكنيسة كانت تحظر ان تقيم أسقفاً في غير المدينة كان القوم يؤسسون في آن واحد مدينة وأبرشية . وكانت الابريشيات باجمعها قديماً وحديثها غنية جداً فلها املاك واسعة وقد تملك احياناً ولاية برأسها وقد منح الملوك للأساقفة براءات يحكمون بموجبها بلادهم بأنفسهم . وجاء في صك الاعفاء انه ليس لموظف عام ان يدخل الى ارض هذه الكنيسة لاجابة خراج ولا للحكم ولا للقبض على العبيد والاحرار الذين يسكنون

فيها . وبذلك أصبح الاسقف ملكاً حقيقياً فكان اساقفة كولونيا ومايانس وترير ثلاثتهم اكبر الامراء في المانيا .

مجامع الرهبان — خضع قيسو الكاتدرائية (يسمون الكاتدرائية كل كنيسة في حاضرة أبرشية) أولاً للاسقف وأخذوا منذ القرن التاسع يعيشون عيشة مشتركة بحسب القاعدة التي جرى عليها الرهبان ومن هنا اشتق الاسم الذي اطلق عليهم وهو كاهن قانون *Chanoine* اي الخاضع للقاعدة ومجامعهم هي مجامع الكهنة او الرهبان . وكان الكهنة القانونيون يعيشون بادبي بدء مما خصص لهم من الطعام واللباس ولما ذهب القوم للمجامع عطايا أصبحت تلك المخصصات ملكاً وكثيراً ما يكون مقسماً . فكان كل راهب قانوني يتمتع بدخل مخصص يتسّر له به ان يعيش عيشة سيد . ومعنى عاش فلان عيشة الكاهن القانوني انه عاش في سعة وباهية واذا استقلت المجامع من الاساقفة أصبح القائنون عليها ايضاً اقبالاً وملوكاً

الادبار — مامن ابرشية في القرون الوسطى الا وكان فيها عدة اديار للرهبان وكلهم محافظون على السنة التي سنّها القديس بنوا ولكن كانت كل اخوية تؤلف ديراً مستقلاً يرأسه رئيسه . والدير عبارة عن مساكن للرهبان ويست للرئيس وكنيسة ودار الضيافة (ينزلون فيها الغرباء) ومعامل ومخازن ويوت الخدم والمزارعين فكان الدير على الاقل كناية عن قرية كبرى واحياناً مدينة صغرى (مثل لاربول وسان مكنان وفيز بلاي) وللدير املاك واسعة منتشرة احياناً في عدة ولايات فيبعث رئيسه الى الاملاك القاصية بقعة رهبان للسكنى تحت ادارة رئيس عليهم وهذه الادبار الصغيرة التابعة للكبرى تسمى الطاعة . وتجرى احكام رئيس الدير بعمونة الرهبان المجتمعين في مجملهم ويكون تحت يده في الادبار الكبيرة رهبان لكل منهم وظيفه مثل مدير الدير ونائبه وقيم الثياب وقيم الطعام وقيم الخزانة وقيم الكتب ورئيس المتشدين ومدير المدرسة فيعيش الرهبان بعضهم مع الآخر وعليهم ان يلتزموا السكوت الاسلم بعض الساعات ويجتمعون قبل طلوع الفجر ليتفرقوا بصلاة السحر عند الاشرار ثم يقومون بالغرض الاول ثم يجيئ وقت القداس والصلوات كاحداجزاء الغرض الكهنوتي و صلاة النوم . واذا كانت سنة القديس بنوا تقضي بان يعمل كل راهب كانوا يعنون بجرث الارض او ملاحظة خدمتهم او صنع امتعة لزينة الكنيسة او نسخ مخطوطات . وقد وصف كثير من الرهبان عيشتهم في اديارهم ولكن الصورة تختلف باختلاف غنى

الدير وقره وجدته وقدمه وحسن ادارته وسوئها

الخورنيات — لم تكن كنائس ولا قسيسون في غير المدن ايام الرومان ولما غدت البلاد مسيحية كلها أخذ كبار ارباب الاملاك والسادة وروساء الاديار والاساقفة ينشئون بيعة ومعابد في محلاتهم فيعطي المومس لكنيسة قطعة ارض كافية تقوم بنفقات الكنيسة واطعام راهب وصدق الاسقف على هذا التأسيس وعندئذ يخدم كاهن تلك الكنيسة (يكون لمومسها واعقابها الحق في تعيينه) ارواح اهل القرية ويجب على السكان ان يأتوا الى كنيسة و بطبيعة و الارض التي يدبرشونها وراها نألف منها خورنية او ادارة ولما تم هذا العمل (وكان ذلك نحو القرن العاشر في فرنسا) انقسمت جميع البلاد المسيحية الى خورنيات كما هي الى اليوم واصبح لكل قرية كنيسة او تبعت كنيسة القرية المجاورة لها . ودخل الدين الى المزارع الناحية واستطاع الفلاحون ان يتعبدوا بدون ان يأتوا المدن وغدوا يقيمون صلواتهم في كنائس قراهم حيث يجمعون وصارت ابراج اجراسهم وقيابها ترى من بعيد وتدعو الاجراس المؤمنين الى الصلاة ولم اجران معمودة لتعميد اولادهم وقبور ليدفنوا فيها موتاهم وبعين اظهروهم كاهنهم يعلمهم الدين ولم قدسهم اوحاي كنيسةهم وعيده عيد للقرية وكثيرا ما كانت تسمى القرية باسمه .

الحرم — كان رجال الدين في القرون الوسطى اغني من العامة واكثر تهذيبا وتعلما منهم ولم مع هذه قوة لاتغالب وهو انهم كانوا يناولون القربان الذي لا يستغني احد عن تناوله ولم يكن على ذلك العهد ملاحدة واذا حدث احبانا لاحد العامة ان نشتر على الكنيسة او انه اساء الى راهب في حالة غضب فانهم كلهم يعتقدون اعتقادا راسخا في اليوم الآخر وبنويون وبنويون لينالوا الغفران وكان رجال الدين يستعملون الاسلحة الروحية كما كانوا يدعونها في تأديب الجناة والعصاة فكان المحرم محروما أي مطرودا من تناول القربان مع جمهور المؤمنين فكان الاسقف يقول اننا بموجب السلطة الالهية التي منحها القديس بطرس الى الاساقفة ننبذ فلانا من جحراة الكنيسة المقدسة فليعلن في المدينة وفي الحقول وفي بيته وعلى كل مسيحي ان لا يكلمه ولا يواكاه وعلى اي راهب ان لا يقيم له القداس ولا يناول القربان وان يدفن كما يدفن الحمار كما ان هذه المشاغل التي القينا بها من أيدينا سننطق وان ضوء حياته سيخمد ان لم يتب ويقدم ترضية .

وقد بدى في القرن الحادي عشر باستعمال المتع الكثنائي ضد السادة الذين كانوا يزدرون بالحرم فكان رجل الدين يحرم من تناول القربان السيد ومحته فلا يقد عقد زواج في كل أرض ولا يدفن ميت ولا يقرع جرس و ينال السكان ما ينال سيدهم ولذلك يقضى عليهم ان يصوموا ويرسلوا شعورهم علامة الحداد. وعلى هذه الصورة كان رجال الدين يكرهون السادة ان يحترموا القوانين الدينية ويحظرون عليهم الاستيلاء على أرزاق الكنيسة.

اصلاح الكنيسة

اختلاط السلطات — كانت الميزة ضعيفة جداً في القرن الحادي عشر بين السلطة الروحية على الأرواح والسلطة الزمنية على الأجساد فلم يكن الاساقفة ورؤساء الاديار رؤساء دينيين فقط بل كانت لهم حصة كبرى من السلطة السياسية فكانوا لما يملكون من الاملاك يعدون في السادة العظماء اي حكاماً على فلاحهم واتباعهم من الفرسان ثم ان الملوك والامراء وكلهم من رجال السيف كانوا في حاجة الى رجال الكنيسة في شؤون الحكومة المرتبطة بالاساقفة فالسادة هم الذين كانوا يتولون عنهم ذلك فيجلسون في قصورهم يكتبون أواميرهم ويعلن احكامهم ويحكمون . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل قدم مع الاساقفة منذ عهد شارلمان نصيباً في إدارة الولايات وكان لكثير من الاساقفة في المانيا سلطة كساسة الكونت . وهم مع حصولهم على سلطة سيد من العامة يخضعون لما يقضى به السيد . هم تابعون لذلك كالكونتية فيخضعون عليهم ان يقدموا للملك كالكونتية منافع ويخدموا في الجيش وكان جيش الملك في المانيا مؤلفاً من فرسان اتي بهم اساقفة ورؤساء الاديار ولكن الملك كان يضطرب احياناً ان يجيبوا الدعوة الى حمل السلاح بانفسهم . فقد كتب فيليب الاول الى رئيس دير سان ميدار اي سواسون ان القاعدة القديمة تقضي على فرسان الدير ان يحضروا بقيادة رئيس الدير للاشتراك بالحملات الملوكية وان على رئيس الدير ان يخضع هذه العادة او يستقيل . فاستقال رئيس الدير وجاء خلقه الى الجيش .

الفكر السائد اذ ذاك — كان الاساقفة ورؤساء الاديار في القرن العاشر من ابناء السادات في العادة والكنيسة والقسيسون من ابناء الفلاحين دخلوا في الرهبنة بدون ميل منهم بل لجرد طاعة اهلهم او الاستمتاع بنعم الكنيسة . فكانوا يأتون الى كنائسهم باخلاق العامة فيعوضون اوقاتهم في الصيد والشرب والاب والتفائل

ورؤسائه الاديار يبددون أموال الدير ليعولوا عصابة من المشردين وكثير منهم يتزوجون ويقفون كنيسة على اولادهم . وقد شوهد في نورمانديا كهنة يتنازلون عن دورهم بائنة لبيئاتهم وكثير منهم كانوا أميين يحرفون كلام القداس بجهلهم وابتساع معظلمهم مناصبهم من اناس من العامة وكانوا يبيعونها الى غيرهم من رجال الكنيسة . وتسمى هذه التجارة بيع المقدسات الروحية (سيمونية) واصبح الاكابر يكونون الخاصة جفاة غلاظاً جهلاء طماعين كالعامه وكان يقال ان الكنيسة قد سرى اليها الفكر السائد في ذلك القرن .

رهبنة جديدة — اوجس رجال الكنيسة المخلصون لا دأبها خيفة من هذه الفضائح فحملوا ارباب الغيرة منهم على تأسيس رهبانيات جديدة فجاء بعضهم من هذا العالم الفاسد وهربوا الى البادية مثل القديس برونو الذي جاء من شمالي فرنسا وتوغل في جبال دوفينه المتوحشة في بضعة من رفاقه وأسس رهبنة القلايين (شارتره او الكروتوسيين) وأسس احد عظماء الطليان القديس رومولاد في جبال طوسكانيا رهبنة الكامالدولين . واراد آخرون استئصال هذه الفضائح مباشرة بادخال رجال الدين تحت قاعدة فبدأوا يشددون في نظام احد الاديار ليكون نموذجاً في اصلاح غيره . واهم مراكز الاصلاح كان دير كلوني اقدم الاديار وقد جرى اصلاحه في القرن الحادي عشر ودير سينتو الذي أسس سنة ١٠٩٤ وكلاهما في اقليم بورغونيا ودير كليرفو المؤسس سنة ١١١٥ و برونوتره المؤسس سنة ١١٢٠

ولم يقصدوا بذلك ان يستعبدوا عن القاعدة القديمة التي وضعها القديس بنوا بل على العكس ان يضعوها موضع العمل بانفاذ نظام العمل على الرهبان والطاعة والفاقة مما بطل في الاديار بما تسرب اليها من افكار ذلك القرن . ففتح مؤسس دير كليرفو القديس برنارد رهبانه من لبس القراء والدفتر والقبعات وقضى بحظر جميع انواع الزينة حتى في الكنائس ولم يسمح بغير صليب من الخشب المنقوش وشعندان كبير مشعب من الحديد ومباخر من النحاس . وبقي الرهبان كله بعد الاصلاح من البنديكثيين ونقرر لتوقيف الخلل الذي دخل على ايسر وجه الى دير مستقل ان ترجع للدير المصلح ادارة الاديار المؤسسة او المصلحة على يده . وهكذا اصبحت اديار كلوني وسينتو و برونوتره زعيمه رهبنة ولم تعد اديار رهبنتها ادياراً كبيرى بل يبعاً ومعابد تخضع لرئيس واحد وتبعث بمفوضين من قبلها يمثلونها في المجتمعات العامة في الرهبنة . فنجحت الرهبنة

في اسرع ما يمكن فكان لكلوفي في القرن الثاني عشر زهاء اربعمائة راهب وينظر في شؤن التي دير وكان لسيبتوت تحت طاعتها نحو ١٨٠٠ دير منتشرة في جميع اوربا وعند ذلك بدأت المنافسة بين رهبان كلوفي السود ورهبان سيبتو البيض . وكان هؤلاء الرهبان المصلحون هم الذين اضطروا بقية رجال الدين ان يصلحوا اخلاقهم وهم الذين عضدوا البابا احسن عضد وحملوا المسيحيين كافة عامتهم وخاصتهم ان يحسنوا رؤوسهم لسلطته . فقد كان غريغوريوس السابع البابا العظيم المصلح الحاكم من رهبان كلوفي والقدس برنارد اللاهوتي العظيم في القرن الثاني عشر من رهبان سيبتو . كان من العادة القديمة في الكنيسة اذا اقر احد المؤمنين بخطيئة ارتكبتها ان يقضي عليه القسيس بالتوبة قبل ان يغفر له وبدعه يدخل الكنيسة بين الناس وتجري هذه التوبة علانية اذا كانت الخطيئة ارتكبت كذلك . وكنت في القرن الثامن كتب توبة فيها العقوبة المقدرة لكل خطيئة . مضت قرون وهذه التوبات مثال القسوة واذلال النفس ففي بعض التوبات التي تطول سبع سنين كان يتحنن على التائب في السنة الاولى ان يقف حافيا امام باب المدينة يركع امام الداخلين ويوصل اليهم ان يصلوا له . والتوبات عبارة عن الصيام وتزديد صلوات وضرب البدن بالعصي ثم انتظمت هذه الطريقة فرأى رجال الكنيسة ان ثلاثة آلاف غسرة بالعصا تعادل سنة في التوبة . وقد اشتهر احد نساك الطليان في القرن الحادي عشر واسمه دومينيك واقب بالدارع بانه يتكفن في خمسة عشر يوما ان يقوم بمئة سنة من التوبة واقرؤا ايضا على ابتياع التوبة بالاعمال الصالحة مثل الحج ومنح العطايا الى الكنائس وكانوا يقولون ان للقدسيين من الفضائل اكثر مما يجب خلاصهم وهذه الفضائل الزائدة قد تألف منها كنز الغفرانات التي بها تشتري خطيئات الخطيئين . ولدى الكنيسة هذا الكنز في الغفران تنفق منه على المؤمنين وسيفي وشعها ان تفصل منه على ارواح الموتى التي يراد تطهيرها وتطلب لقاء ذلك بعض المال . فالخطيئة لا يشتري الغفران (كما قيل ذلك خطأ) بل يبتاع التوبة فقط وبعبارة اخرى ان الكنيسة تعطيهما له . هذه هي نظرية الغفرانات . فقد قال داميانوس اننا بما نأخذ من اراضي التائبين ننحهم كمية من التوبة بحسب ما يعطوننا . وعلى هذا كانت التوبة قد عين احدها وهي السهولة (ما يثقل بالغفران من العنايا والحج) وهذا يكفي الارواح النائرة واوقات السكون والآخر وهو بري (ضرب العصي) تطعن اليه الارواح المنحمة

وقد كان الغيورون من المسيحيين مثل القديس لويس والقديسة اليزابثة يلبسون قيعاً من الشعر ويضربون بعضاً بد من يعترفون له . وفي اوقات الفزع الديني خلال الاوثنة والحروب لتأف عصابات من المضروبين بالعصي يجتازون البلاد واكتافهم عريانة وهم يضربون انفسهم حتى تسيل دماؤهم

انفصال الكنيسة الرومية — مضى دهر طويل لم يؤلف المسيحيون الروم في بلاد الشرق سوى كنيسة واحدة مع مسيحي الرومان في الغرب فكانت لهم عدة بطارقة في الاستانة والاسكندرية والقدس وانطاكية ويعترفون ايضاً بتقدم أسقف رومية ولكن بعد ان فتح العرب مصر وسورية لم يبق في الامبراطورية سوى بطريك واحد وهو بطريك القسطنطينية الذي أخذ يناقش البابا . ولما قطع البابا العلائق مع الامبراطور في القرن الثامن بشأن عبادة الصور بدأ المسيحيون الروم ان لا ينظروا الى مسيحي الغرب اخوانهم وكان بين الفريقين من اهل العالم المسيحي بعض فروق خفيفة في امور التعبد والمعتقد فالروم يعتقدون ان روح القدس لم ينبثق الا من الآب والغربيون يعتقدون انه ينبثق من الآب والابن معاً وان الابن من مادة الآب نفسها . والروم يستعملون الخبز في المناولة والغربيون خبزاً بدون خمير والروم يسمحون بزواج القسوس والغربيون يحظرونه .

وظهرت تلك العداوة الخفية بين الكنيستين جهاراً في القرن التاسع ف عزل الامبراطور اغناس بطريك القسطنطينية واقام عوضاً عنه فوتيوس احد قدماء الساسة والقياد وهو اكثر الناس تعلماً في زمانه ولم يكن راهباً بل اجتاز درجات الكهنوت كلها في بضعة ايام فغضب البابا نقولا للبطريك المقال وحرّم فوتيوس واشياعه فجمع فوتيوس في الاستانة مجمعاً حكماً على معتقدات اللاتين الخاصة بانها الحاد وحرّم نقولا (٨٦٧) فاغتنم البابا فرصة تبديل الامبراطور ليجمع في القسطنطينية مجمعاً مسكونياً (٨٦٩) قضى بعزل فوتيوس وفسخ اعماله . وفي سنة ٨٧٩ فسخ مجمع جديد اوامر مجمع سنة ٨٦٩ واعلن بان البابا ليس سلطاناً على الكنيسة الا في الغرب فاجاب على ذلك بحرم فوتيوس الذي انقطع الى احد الاديار وبدا بذلك ان التقاطع بين الكنيسة اصبح مبرماً ولكن الباباوات في أواخر القرن التاسع اصبحوا في ايدي بارونات رومية فأمسوا من الضعف بحيث لا يستطيعون المقاومة في هذا الباب ولما شعر البابا أواسط القرن الحادي عشر بتوطيد مركزه في رومية والغرب بعث بنائين من قبله يضعان

باحتراف في كنيسة القسطنطينية براءة الحرم الذي صدر من البابا على البطريرك واشياعه (١٠٥٤) فابت كنيسة الشرق ان تخضع وظل المسيحيون منذ ذاك العهد منقسمين الى كنيسة الكنيستين اللاتينية او الكاثوليكية التي خضعت للبابا والكنيسة الرومية او الارثوذكسية التي اعترفت ببطريرك القسطنطينية وليس الروم فقط هم اتباع هذه الكنيسة بل الروس والبلغار والصرب والرومانيون

الاحاد - كان الملاحدة (المراطقة) نادرين منفردين في القرون الاولى والوسطى فبدأوا في القرن الثاني عشر يتكاثرون ولا سيما في جنوبي فرنسا وشمالى ايطاليا وانقسموا الى شيع مختلفة كثيراً يصعب علينا تمييزها ولا نعرفها الا بما نقله عنها اعداؤها فمنهم من اقتبسوا من ملاحدة بلغاريا مذهب الماتوي الفارسي القديم في نزاع الخير والشر وآخرون وهم الكاتاريون (الاطهار) فقرأه ليون القود ويون كانوا ملاحدة بنضاً بمقاسد رجال الكهنوت في عصرهم وزعيم شيعة القوديين فالدوس تاجر غني من اغنياه ليون كان ترجم له الكتاب المقدس باللغة المانية فاحب عملاً بحكمة الانجيل ان يوزع جميع ما يملك على الفقراء وأخذ يدعو الى الدين على رغم منع الأسقف عليه ذلك وكان انصاره يرفضون كل ما لا يرونه مسطوراً عندهم في التوراة مثل الصور والماء المقدس والقديسين والدعاثر والمطهر والصوم والغفرانات وكانوا يقولون ان الكنيسة الرومانية ليست كنيسة المسيح بل كنيسة الشيطان وما الاحبار الا فرسيون يجب ان لا يملكوا شيئاً من حطام الدنيا بل ان يعملوا كما عمل الحواريون وان لا يقودوا اذ ليس في الكنيسة الحقيقية الا اهل التساوي فالعامة لبسوا دون الخاصة ولم الحق ان ينشروا كما كان يبشر الرسل والعامي النبي هوشد عرافة في الرعيشة ويحسن ان يتناول القربان من رجال الكهنوت اهل الخطيئات الحاكمين المتحكمين بالكنيسة ففسر القربان المقدس والغفرانات لافائدة فيه لان الايمان والتوبة يكفيان في السلامة . وكانت قوة هؤلاء الملاحدة باختلاطهم مع الشعب مباشرة بكملة بلسانه ويعيش واعظم عيش الفقر والشدّة المخالفة لاخلاق احوار رجال الدين الاغنيا الفاسدين احياناً ولكن معظم المسيحيين كانوا يفرعون من امم الحاد وطقوا عن رضى يخدمون رجال الكهنوت ليقضوا على الملاحدة ودعا البابا فرسان فرنسا فاعلوا عليهم حرباً صليبية كما اعلنوها على المسلمين فذبحوا جميع سكان بزيبر على نحو ما فعل الصليبيون في الشرق من ذبح الرجال والنساء في اورشليم . وقد حرم البابا الامبراطور فريدريك الثاني في المانيا وهو نصف عربي

بشدته فأحرق كل من أشتبه فيهم انهم ملحدون.

ديوان التفتيش الديني — بعث البابا الى مدن اقليم لانكدوك بموظفين عهد اليهم البحث عن من يشبه بهم بالاخذ وذلك لاستأصل الملاحدة عن بكرة ابيههم ومنهم كل سلطة في القاء القبض على كل شخص ومحاكمته والحكم عليه واطلق لهم الحرية ان يعملوا بما يرونه مناسباً مباحاً لهم ان يغفر بعضهم لبعض اذا بدرت منهم بادرة وهو لاء المفتشون (وفي العادة ان يكونوا قسوساً) يستقدمون الرجال الذين يرمون بالزندقة و يسألونهم بدون ان يقولوا لهم اسماء من اظهر امرهم فاذا اتي المشتبه به الكلام يسجنونه و يضيقون الخناق عليه ولقد قال احدهم لاء المفتشين ولطالما رأيت انساناً حياً على تلك الصورة سنين كثيرة فانتحي بهم الحال ان اقروا ايضا باجرام لم قديمة وعادوا ايضا ليعلموهم على الاقرار يستعملون معهم طريقة التعذيب التي تركت منذ عهد الرومان واخذت بالاستعمال عند ظهورهم وكانت محكمة التفتيش تحكم بطريقة عرقية بدون استئناف تحكم على بعضهم بغرامات فاحشة او بجمع بعيد وعلى غيرهم ان يحملوا على ثيابهم صلباناً صفراء تخط عليها فتشعر بانهم مشبه بامرهم امام القوم و يقضى على الآخرين ان يطوفوا ثابئين يحملون العصي ليجلدوا . وغيرهم يسجنون موبداً في مطبق صغير مظلم على خبز الكرب وماء العذاب وبعضهم يحرقون سيفاً وقود الحطب وديوان التفتيش لا ينفذ الحكم عليهم بنفسه بل يكتبني بان يدفعهم الى القاضي المدني العامي وهو يعيدهم الى الجلاذ .

الرهبان الشعاذون — اصبحت الرهبات الدينية التي حملت في القرن الحادي عشر على الفساد المستفوذ غنية غنى فاحشاً فكان رئيس دير كلوفي يسبح في موكب مؤلف من ثمانين فارساً والرهبان البهض الذين أرسلوا لتحصير الملاحدة قد حملوهم على العصيان بما رأوه من بذخهم ولذا دعت الحال الى وضع نظام جديد وذلك بما قام به القديس فرنسوا الايطالي والقديس دومينيك الاسبانيولي .

فكان القديس فرنسوا (ولد سنة ١١٨٢) ابن تاجر غني في آيزنخيل عن المال وراح الى المدن يشوكف الاكف ويدعو الناس . فظنه القوم مختل الشعور ولعنه ابوه ولكن ابن جانبه ولطفه وحماسته لم تلبث ان عقدت القلوب على حبه فانجبت به وجاءه من تلقوا دعوته زرافات فعزم ان يضم شتاتهم وانشأ رهبنة الاخران القاصرين (الفرنسيسكان) وكان القديس فرنسوا يعيش يعيش التنسك يسهر وبصلي وبصوم

وبلبس مسحاً ويمزج رماً في طعامه لئلا يلذ طعمه ويجلد نفسه كل ليلة بسلاسل من الحديد (ثلاث مرات واحدة عن نفسه واخرى عن ارباب الخطايا الاحياء وثالثة عن ارواح المطهر) ومات مضجعا على الارض بلا وطاء وكان خلافاً للعجساء مخفض الجناح راغباً في خلاص غيره يريد ان يكون من جماعة الفرنسيسكان نساك ابداً فقراء ولكن نساك يعيشون بين اظهر الناس ليعرضهم على التقوى قال لتلاميذه : اذهبوا اثنين اثنين مبشرين الناس بالسلام والتوبة للعفو عن خطيئاتهم . لا تخافوا شيئاً لاننا ابعدو للناس كالاطفال او المعنوهين ولكن بشروا فقط بالانابة والتجدد وكونوا على ثقة بان روح الله الذي يدبر العالم ينطق بلسانكم . وكانت قاعدته بسيطة للغاية وهو ان لا يملك الاخوان شيئاً بل ان يمضوا في هذا العالم كالخجاج والغرباء يخدمون الله بالفقر والضرعة اليه والصدقات قصارى ما يتلقون به ولا ينجحون من حالم لان السيد المسيح سن لنا سنة الفقر . ولبس الفرنسيسكان لباس الحاجين وهو عبارة عن ثوب من الصوف الغليظ له قبعة ومن هنا اشتق اسمهم (الكبوشيون) ويلبسون في ارجلهم نعالاً ويمتنطقون بحبل (ومن هنا سموا ايضا الحبالين) ولا يعيشون الا من الصدقات

وكان القديس دومينيك (ولد سنة ١١٧٠) من النساك ايضا لا يشرب الخمر ولبس مسحاً مع سائلة حديد ومات مضطجعا على الرمال وكان واعظاً وعظ عشر سنين في البلاد الالهية لهداية الملاحدة وهناك رأى كيف يطمح الشعب لسماع كلام الله وهو يتألم لما يرى من بدخ رجال الكهنوت . ومن سنة السير على القدم بالبسة ساذجة للغاية وأراد ان يكون على هاكلة في الامة رسل مبشرون فأنشأ جمعية الاخوان الواعظين جعل شأنهم ان يتكلموا في كل مكان بما فيه سلامة الارواح ووضع الفقر قاعدة لهم .

وهكذا كان الفرنسيسكان شحاذين فاصبحوا واعظين والدينيكيون واعظين فاصبحوا شحاذين وكانت الرهبنتان تتسابهان من وجوه كثيرة ^(١) وكانتا كلثاما منظمين ولهما

(١) اقترح القديس دومينيك ان يمزج الرهبتين فابى القديس فرنسوا يريد ذلك ان تكون كل رهبنة مثالا للآخرى ومهازاً يسوقها الى العمل فكانت الرهبنتان اولاً خصيتين ومختلفتين ولم يجي^٢ القرن الخامس عشر الا واخذت كل منهما نكره الاخرى وانتهت الحال بتقاتلهما وتدابيرهما

فأند بؤدما بطيع البابا مباشرة ولكن الدومينيكيين كانت علاقتهم بالسادة والملوك أكثر والفرنسيسكان بجمهور الشعب وامتدت كلمة هاتين الجمعيتين امتداداً لا يكاد يصدق فلم تدخل سنة ١٢٧٧ الا وكان للدومينيكيين ٤١٧ ديراً وكان للفرنسيسكان سنة ١٢٦٠ — ١٨٠٨ اديار وفي كل دير اثنا عشر راهباً على الأقل واذ كان اعتمادهم على الله الذي كان هربهم وخوانتهم كانوا يقبلون في جملتهم من الاخوان كل من جاءهم فمن يقصدونهم يسطونهم ثوباً وجبلاً وما عدا ذلك فيكون أمره للعناية الالهية . ولقد عاش قديما الرهبان خارجين عن العالم اما الرهبان الشحاؤون فأختلطوا بالمجتمع وأذن لم البابا ان يشرؤا ويرفؤا بدفنؤا فأخذ المؤمنون يهرعون اليهم تاركين قسوسهم المعتادين وكان بذلك ثورة عظيمة وطدت سلطة البابا كل التوطيد

عدل الكنيسة -- كان في كل ابرشية منذ القرن الثالث عشر محكمة للكنيسة يجلس فيها مندوب الاسقف للحكم فينظر فيها في عامة القضايا التي لها مساس باحد الاكليريكيين اذ لم يكن يقبل ان عامياً يرفع يده على رجل من رجال الله فالاكليريكي اذا ارتكب جرماً لا يحكم عليه الا مثله وهذا من جملة امتيازات رجال الدين امتيازات يرغب فيها لان قضاء الكنيسة لا يحكمون بالاعدام بثاناً وكثيراً ما كان احد الاشقياء فراراً بنفسه من المشقة يدخل في درجة من درجات الاكليرس ويتعلم صلاة باللاتينية ويظهر بمظهر ديني وقد امتدت سلطة المحاكم الكنائسية على العامة . فالكنيسة التي تدير اسرار القربان المقدس يجب ان تبت في كل المسائل التي لها علاقة بهذا الشأن ومثل هذه المسائل ليست بقليلة . فقد اصبح الزواج منذ ظهور الدين المسيحي سراً من اسرار القربان فيأقي الزواج في شهودهما يقفان تحت دهليز الكنيسة فيسألها الكاهن فيما اذا كانا يقبلان بالزواج فيقول الزوج انا ياهذه ارضاك زوجة ونقول العروس انا ياهذا ارضيتك بعلأ وبأني اهل المرأة يضعون يدها في يد زوجها ويبارك القسيس خاتم الزواج اشارة العقد ثم يدخلون كلهم الكنيسة^(١) فيتلو القسيس القداس على الزوجين الراكمين المستورين بشعار خاص وهذه الحفلة جعلت الزواج في يد الكنيسة وكانت تكفي في عهد الرومان ارادة الزوجين لعقد القران كما تكفي ارادتهما لفسخه اما المسيحيون فعلى العكس لا يستطيعون الزواج الا اذا سمحت

(١) من عادة الافرنج ان يطيلوا في وصف كل ماله علاقة بهم ولكن سنيوبوس اطل في الشؤون الدينية الخاصة بقومه حتى خرج عن موضوع الحضارة جملة (المعرب)

الكنيسة (وكثيراً ما تخطره حتى بين الأهل البعيدين) فإذا تزوجوا كان زواجهم طول العمر لأن سر الزواج لا يفشل . وهكذا بطل الطلاق وإذا تعذر الثمام الزوجين لا تسمح الكنيسة إلا بالتفريق بينهما ولا تحل رابطة الزواج مطلقاً .

والكنيسة تحسب أيضاً في الوصايا لأن الرجل لا يتأق له أن يوصي إلا بعد الاعتراف والاعتراف سر من الامرار وتأق الكنيسة ان تدفن من لم يعترف ولم يوص والعادة تقضي ان يكون سيف كل وصية وقف يحبس للكنيسة وترجع جميع القضايا في الوصايا الى محكمة الكنيسة . والكنيسة تحسب ايضاً على العامة المتممين بجرمة تخالف الدين أمثال الزناقة والحرمين والمرابين (وذلك لأن كنيسة تحظر الربا) وزعم اينوسان الثالث ان من واجب الكنيسة ان تحسب في جميع الخطايا وكانت محاكم الكنيسة الى القرن السادس عشر أكثر عملاً من المحاكم العادية

البابوية

البابوية — الباباوات في القرن العاشر كسائر اساقفة ايطاليا سقطت تحت سلطة العامة من السادات الذين هم نصف لصوص في رومية فكانوا يخلون بعضهم ببعض في خرائب المعاهد القديمة ويشرفون على اختيار البابا الذي يشاؤون . فكان الكرسي المقدس ملكاً لأمة من البارونات زماناً طويلاً . ونساء تلك الأسرة تيودورا وماروزيا تختبان الخبر الاعظم فشاهد بابا في الثانية عشرة من عمره وآخر باع البابوية من خلفه وقد جعل الامبراطور هنري الثالث حداً لهذه الفوضى وذلك بان اخذ على نفسه تعيين البابا وما كان انصار الاصلاح يرضون ان تكون ارقى مناصب الكنيسة خاضعة لسلطة رجل من العامة ولقد وقف ليون التاسع الذي نصبه ابن عمه الامبراطور بابا على أبواب رومية بصفة حاج واراد ان يجري انتخابه بحسب القانون من قبل رجال الاكليسوس وشعب رومية ثم قرر مجمع لانران سنة ١٠٦١ ان يجري انتخاب الباباوات سيف المستقبل بمعرفة اساقفة المدن الصغرى في بلاد الاناقيم الرومية وان يصدق الامبراطور على انتخابه ولكن لم يلبث هذا القرار ان صرف النظر عنه . وهذه القاعدة في الانتخاب التي جرى العمل عليها بعد قد جعلت للباباوية استقلالاً عن شعب رومية والملوك الاجانب . ولما اصبح البابا مستقلاً اخذ يظهر الكنيسة من روح العصر بمنع زواج الرهبان وبيع الاشياء الروحية وتولية العامة للبابا

خصام على التولية — تقضي القوانين القديمة في الكنيسة ان ينتخب الأسقف

بمعرفة الكهنة القانونيين ورئيس الدير بمعرفة رهبانه واذا كان لكل ابرشية ولكل دير املاك واسعة اعطاها له الملك على سبيل الاقطاع وكان الملك ولا سيما في المانيا بطالب بحق تعيين من يستعمل بهذه الاقطاعات فاذا مات أسقف او رئيس دير يحمل الكهنة القانونيون او القساوسة اليه الملك علامات المنصب الأسقفى او الرئيس وهي العكاز رمز السلطة والخاتم رمز اتحاد الجبر مع الكنيسة فيختار الملك من يرده وفي العادة انه يختار احد رجال الكنيسة في قصره ويخلفه يمين التبعية له ويوليّه اسمه يملكه زمام منصبه بان يدفع اليه العكاز والخاتم . وهذه العادة قد ثارت لها المصلحون في الكنيسة . قال البابا اوربانوس الثاني أمن الممكن ان تكون الابدني التي تشرفت بالشرف العالمي في ايجاد الخالق (كذا) بحيث يؤول امرها الى العار بالخضوع الى ايد ملوثة بالسلب والدم . وما معني قبول منصب كنائسي من عاي الا الاتجار بالاشياء المقدسة وبذلك ارتكاب الخطيئة المميتة في بيع هذه المقدسات فطالب البابا من ثم ان يقتل الامبراطور عن انتخاب الاساقفة وروساء الاديار ليكون انقيادهم بحسب القواعد القانونية . وكان الامبراطور يجيب على هذا المقترح بان الابريشيات والاديار جزء من الاملاك الامبراطورية والامبراطور وحده الحق في ان يوليها من اراد . وعلى هذا الوجه ثار بين الامبراطور والبابا خصام على التولية . وانصار البابا في مطالبه القسيسون وانصار الاصلاح وانصار الامبراطور الاساقفة وروساء الاديار في المانيا ولومبارديا اتباعه والقساوسة المتزوجون وعنده احضر أسقف كوار سنة ١٠٧٥ ليبلغ رئيس اساقفة ماينانس الامر البابوي في حظر الزواج على القسيسين قام جميع الاكليروس الذين كانوا حاضرين المجلس مغاضبين شامتين رئيس الاساقفة وماتعنه من قبول هذا الامر . ودام الاخذ والرد في ذلك نصف قرن (١٠٧٥-١١٢٢) وتعذر التوفيق فيه بسبب حقوق مداخيل الكنيسة او سلطة الاساقفة السياسية وقد حل البابا باسكال الاشكال بان قرر تنازل الاساقفة عن المدن والكونتيات والنقود والمكوس والقصور والاملاك والحقوق التي يعطيها الامبراطور لهم . فلم يرض رجال الاكليروس عن هذا النظام ولما عقد الصلح سنة ١١٢٢ احتفظ الاساقفة بحقوق مداخيلهم وسلطتهم السياسية فسمح الامبراطور بانتخاب الاساقفة وروساء الاديار من قبل الكهنة القانونيين او القسوس وان يعطوهم العكاز والخاتم ولكنه ابى حق توليتهم بالعلم كالامراء من العامة .

مناوشات البابا مع الامبراطور — كان البابا والامبراطور متفقين على ان يحكموا

متركين كما وقع على عهد شارلمان فلم يكن من حاجة لتمييز سلطة أحدهما عن الآخر وتحديد حقوق كل منهما وكان يقال إن الله أعطى مسيحين سيف السلطة الزمنية للامبراطور وسيف السلطة الروحية للبابا ليحكموا العالم معاً ولكن عندما اشتدت جذوة الخلاف بين البابا والامبراطور اتفقا أن يتسائل الناس ما هي حقوق السلطة الروحية والسلطة الزمنية وعندئذ حدث نقف . وهي مسألة صعبة لم يتيسر للعصور المقبلة أن تحل عوبها ولا تزال تتناقش فيها بعد تحت اسم صلات الكنيسة بالحكومة

ولقد كان الناس في القرون الوسطى يسيثون فهم سلطتين متساويتين مستقلتين وهل البابا أو الامبراطور هو الذي يحكم على الآخر وكل منهما يزعم أن سلطته رفيعة سامية فكان الامبراطور وارث القياصرة والملقب بالغايهم بطالب بحق الزعامة على العالم اجمع والبابا يقول إن الله باعطاءه الى القديس بطرس الحق المطلق أن يحل ويربط سيف السماء وعلى الارض لم يستثن أحداً بل اخضع اليه الامراء وجميع دول العالم وولاه اميراً على ممالك الدنيا . والبابا اسمى مقاماً من جميع الامراء وهو قاضهم في وسع . اذا رآهم غير لائقين للحكم أن يحرمهم وأن يعزلهم وأن يجعل رعاياهم في حل من اخلاص البيعة لهم . وقد نفذ غريغوريوس السابع هذه الحكة بعزل هنري الرابع . فطال الخصام بين السلطتين فبدأ في "قرن الثاني عشر على التوالي ودام بشأن حقوق الامبراطور على مدن لومبارديا الى سنة ١٢٥٠ فغلب الامبراطور لأن سلطته على العالم وهمية ولم تكن له سلطة الا في المانيا واطاليا ثم انه عاجز عن ان يبذل له الطاعة امراء الالمان ومدن الطليان

نفوذ البابا — اصبح البابا في القرن الثالث عشر وبنده رجال الكهنوت الذي قوي بالاصلاح والتهذيب زعيم العالم المسيحي بلا منازع فهو يصفه نائب المسيح يحكم على رجال الاكليريوس كافة وهو لا يحكمون على جمهور المؤمنين وحفظ لنفسه الحق ان يجمع الجميع وبعزل الاساقفة ويغفر لكرار المجرمين ويعطي ما يلزم من التفتحات فيتناول القربان على عرش عال ويقبل جماعته رجلية ورسائله قوة الشريعة في الكنيسة كلها واليك كيف تحدد سلطته قال ابون . ان الثالث : لقد وضع الخالق في سماء الكنيسة منصبتين اعظمها البابوية فهي تحكم على الارواح كما تحكم الشمس على النهار واقلهما الملك فهو على الاجسام كالقمر في الليل فالبابوية مفضلة على الملك كما تفضل الشمس القمر . وقد عهد سبحانه وتعالى الى القديس بطرس ان يحكم لا الكنيسة العامة فقط بل العالم فكأن جميع

مخلوقات السماء والأرض والجميع ثلثي ركبتهما أمام الله هكذا كلهم يجب ان يخضعوا لثانيه حتى لا يكون في الأرض سوى قطيع واحد وراع واحد .

وقد كتب إيرينفاس الثامن سنة ١٢٩٦ الى ملك فرنسا يقول : اسمع يا ولدي كلام اب شفق واياك ان تعتقد بان ليس فوقك يد وانك غير خاضع لزعم رجال الدين . وكتب سنة ١٣٠٠ في المنشور المشهور ان الكنيسة واحدة هي جسم واحد ليس له الا رأس واحد لا رأسان كالمنسخ وهذا الرأس هو خليفة القديس بطرس علنا الانجيل ان في الكنيسة سيفين زمني وروحي تستعمل الكنيسة ويد البابا احدهما والثاني الكنيسة ويد الملوك بالمر البابا

مضت القرون الاولى وليس في الكنيسة سوى قوانين اي قواعد وضعتها الجماع وعندما عرف البابا سلطته الى جميع رجال الاكليروس أصبحت اوامره قوانين للكنيسة على نحو ما كانت قديماً اوامر الامبراطور الروماني شرايع للمملكة وقد جمع كراينين الراهب الابطالي في القرن الثاني عشر الارامر التي نسبت لقدماء الباباوات والاف منها كتاباً سماه الديكري اي الامر . فزاد عليه الباباوات في القرن الثالث عشر هذه مجاميع جديدة مؤلفة من رسائل الباباوات التي ظهرت بعد جمع الرسائل الاولى وهكذا فكان ان يوسنيانوس ألف مادة الشريعة المدنية ألف الباباوات مادة الشريعة القانونية التي ظلت قانوناً للكنيسة

المدنية الشرقية في الغرب

نقدم شعوب الشرق في القرون الوسطى — ليمثل الفارسي لعينيه المدينتين اللتين كانتا في القرن الحادي عشر نفسان العالم القديم ففي الغرب مدن حقيرة صغرى واكواخ فلاحين وقلاع لاهندسة لها وبلاد مضطربة على الدوام بالحرب لا يتأق ان يسير فيها السائر عشرة فراسخ بدون ان يسلب وينهب وفي الشرق مدن القسطنطينية والقاهرة ودمشق وبغداد وجميع مدن الب ليلة وليلة يجافيهما من قصور المرمر والمعالم والمدارس والاسواق والحدائق الممتدة على بضعة فراسخ وربة تروي احسن ارواء خاصة بالقرى والضياع وحركة التجار التي لا تلتطم قترام بذهبيون بسلام من اسبانيا الى فارس ولا شك ان العالم الاسلامي والعالم البيزنطي كانا اغنى واحسن نظاماً ونوراً من العالم الغربي فكان المسيحيون يشعرون بنقصهم في التهذيب ويهيجون ببلاهة بما يبدو لهم من غرائب الشرق ومن يجب التعلم يقصد الى مدارس الغرب . وبدأ العالمان الغربي والشرقي في القرن

الحادي عشر بتعارفان ودخل المسيحيون البرابرة الى حصى المسلمين المحدثين من طريقين الحرب والتجارة

الحروب الصليبية — انتهى المسلمون من جهادهم المقدس فشرع النصارى بجهادهم وكان ذلك الحرب الصليبية . وقد دبر شؤن الحرب الصليبية البابا اوربانوس الثاني في كلرمون وكان فرنسويًا . وكان يقصد من هذه الحرب انقاذ البيت المقدس (اي قبر المسيح) من ايدي غير المسيحيين فمن يسافرون يجهلون على اكتافهم صليبا او صليب البابا . ومن هنا اشتق اسم الصليبيين . فكان الصليبي حاجًا مسلحًا ووعد البابا كل من يشترك بهذه الحملة ان يعفو عنه من كل الذنوب التي تحملها لقاء خطايه . وانضم الي هؤلاء الثائمين اناس من تجار الطليان وفرسان رغبتم انفسهم بالفتيحة وانتفعوا من غلبات الصليبيين على المسلمين ليقبوا سيف سوربة حيث انشأوا اربع امارات (كانت تسمى الافرنج)^(١) وفي سنة ١٢٠٤ سبر البنادقة حملة على القسطنطينية وفتحوا امبراطورية الروم ولقد بدأت هذه الحرب اواخر القرن الحادي عشر ودامت الى القرن الثالث عشر وكثيرًا ما كانوا يتحدثون حتى القرن الخامس عشر بمعادنتها . وكانت آخر حملة من حملات الصليبيين في اسبانيا سنة ١٤٩٢ انتهت بأخذ غرناطة .

صفة الحروب الصليبية — كانت الحروب الصليبية حملات مؤلفة من المسيحيين منظمة بمعرفة البابا زعيم النصارى العام فكان كل صليبي حاجًا مسلحًا تغفو الكنيسة عن جميع الذنوب التي وقع فيها فكانت الحاجون يجتمعون جيوشًا ضخمة حول السادات القادرين او حول نائب البابا ولكن لانظام في صفوفهم فهم احرار ان يتنقلوا من جيش الى آخر او ان يتركوا الحملة عندما يرون ان نذرهم قد تم . فالجيش الصليبي لم يكن سوى اجتماع عصابات تسير الى مقصد واحد من طريق واحد فكانوا يسيرون مشوشًا نظامهم على مهل راكبين خيولًا ضخمة لابسين دروعًا ثقيلة يجهلون انقاذهم فينوثون بها كما ينوثون بخدمهم وبالترابن معهم فكانوا يضيعون اشهرًا في اجتياز الامبراطورية البيزنطية وقتال فرسان الاتراك في آسيا الصغرى والرجال والخيول تموت في القفار التي لا ماء فيها ولا سبيل الى اخذ الميرة جوعًا وظمًا وتعبًا وكانت الاوبئة التي تحدث في المعسكرات التي يزلونها من قلة العناية والمادة والصوم المتعاقب بعد

(١) دعا العرب جميع مسيحيي الغرب بالافرنج لانهم كانوا في القرن التاسع يضمهم

لواء مملكة الفرنك

الافراط في الطعام والشراب تحصد ارواحهم بالآلاف . وكان من يملكون سوربة قليلاً عددهم فقني الرجال واي فناء في القرن الثاني عشر على هذه الصورة على طريق الارض المقدسة فضاقت صدر الصليبيين من هذه الرحلات القتالة في البر واخذوا يعدلون عنها وفي القرن الثالث عشر قصدوا كلهم البلاد المقدسة من طريق البحر فكانت السفن الابطالية نقلهم وخبوهم الى الارض المقدسة في بضعة اشهر حيث يجاهدون الجهاد الحقيقي

كان الفرسان في قتالهم المسلمين اذا تساوى عدد المقاتلين قد يكتب النصر لهم وذلك لانهم كانوا يجيئون بالضعمة وسلاحهم الذي لا يتأثر بخرقه بوقلوع كتاب مزاولة لا يشطب فرسان العرب الراكون على خيول صغيرة ان يخرقوها بسهامهم وسيفوفهم . نعم ان حروبهم لم تسفر عن نتيجة فعاد الصليبيون الظافرون الى اوربا ورجع المسلمون . وهذه الجيوش المنقطعة كانت تستطيع فتح الارض المقدسة ولكنها لم تكف لحفظها بيد انه كان ينضم الى أهل الصليب الذين اتوا للنجاة بانفسهم من الخطايا رجال من الفرسان والتجار الذين قصدوا البلاد ليغتنوا فكانوا يمتنون بحفظ البلاد وبهؤلاء كتب التوفيق الثام في الحروب الصليبية باستخدامهم القوة الموقفة التي كان يوليها سواد الصليبيين . فكانوا يديرون الاعمال الحربية وينشئون ادوات الحصار وبأخذون المدن بتحصنوا فيها بحيث يتوقعون عودة العدو . ولو ترك اولئك الصليبيون وانفسهم لما استطاعوا ان يقاتلوا في تلك البلاد القاصية فان الحملات ذات الأبهة التي كان الملوك قوادها (مثل لويس الثاني عشر وكونراد وفرديريك بيرروس وفيليب اغسطس وملك المجر وسان لوي) قد اخفقت كلها اخفاقاً ذليلاً . والحروب الصليبية الوحيدة التي نجحت حقيقة (الاولى التي فتحت سورية والرابعة التي فتحت امبراطورية الروم) وكان قواد الاولى الثورمانديون من ايطاليا والآخرى البنادقة . وكانت حماسة الصليبيين وشجاعتهم قوة عمية لا ينفع بها الا اذا كان المدبرون لها اناساً من أهل التجربة . وما كان الصليبيون سوى معاونين والمؤسسون الحقيقيون للممالك المسيحية هم المنشردون والتجار ممن كانوا يشبهون المهاجرين المحدثين الذين كانوا يسافرون لاسطنبول الشرق . وما كان هؤلاء المهاجرون قط من الكثرة بحيث تأهل بهم البلاد بل نزلوها متخذين لهم مسكرات بين أهلها الوطنيين ولم تكن الامارات الافرنجية سوى عبارة عن حكم أشرف يقوم به بضعة الوف من الفرسان الفرنسيين والتجار الابطالبيين فليس لها من تماسك الاجزاء ما كان

للمالك الغرب التي تستند على الامم والشعوب فاشبهت هذه الامارات الممالك التي أسسها زعماء
الحار بين العرب او الاتراك حيث تمتزج الحكومة بالجيش وتهلك واياه . وطال عمر
هذه الامارات قرنين وهي حياة تعد طويلة في الممالك الشرقية ولو تسرت هجرة قويتها
لتوطدت أمسها ازاء آسيا الاسلامية والبيزنطية ولكن اوروبا في القرون الوسطى لم
تستطع ان تقوم بهذه المهاجرات

مضى نصف قرن ولم يشغلوا بغير حرب صغار الامراء في سورية وكان مسلمو مصر
يعيشون معهم بسلام وهذا زمن نجاحهم ولما أتى صلاح الدين على الخلافة بمصر
فقرضها وتألفت بدلاً منها حكومة عسكرية في القاهرة هوجم المسيحيون من جهة مصر
فلم يستطيعوا ان يقاوموا زمناً طويلاً (كما دلت على ذلك انتصارات صلاح الدين) فاذا
كانوا احتفظوا بممالكهم قرناً آخر فذلك لان السلاطين لم يحرموا ان يهدوهم . لاجرم
ان هذه الحروب كانت في نظر المسلمين كما هي في نظر المسيحيين جهاداً مقدساً ولكنها
انقطعت بمهادنات بضع سنين ولا ينبغي لنا ان نتصور جميع أمراء المسيحيين متحدين
على أمراء المسلمين بل كانت المصالح السياسية أشد قوة من البغضاء الدينية وما برح أمراء
النصارى يتقاتلون بعضهم مع بعض كأمراء المسلمين يقتل بعضهم بعضاً وقد حدث ان
اميراً مسيحياً تحالف مع امير مسلم على امير مسيحي . وما خفي كان الانفاق تاماً في جيش
النصارى فالحماسة التي كانت تجمعهم لم تأت على مناسبتهم في التجارة ولا على تباعضهم
الجنسي وكان النزاع دائماً بين الامراء من مختلفي الممالك بين الفرنسيين والالمان والانكليز
بين تجار جنوة وتجار البندقية بين التاميلية والاسبانية (فرسان الهيكلية والمقرين)
وكثيراً ما تغاثروا . ومثل ذلك من الخلاف بين الصليبيين القادمين من اوروبا والافرنج
القيمين في سورية . ولقد اتخذ الافرنج عادات الشرقيين لما عاشوا بين اهلهم فاستعملوا
الحلقات واللبسة المسترسلة ونظموا خيالة مسلمين على الطريقة الاسلامية وانشأوا
يعاملون المسلمين معاملة المحسورين ولا يحاربونهم بدون داع . واراد فرسان الغرب
القادمين وقد ملئت صدورهم غيظاً على المسلمين ان يهدوا كل شيء وقد حنفوا من هذا
التسامح فكانوا اذا خرجوا من البحر ينقضون على الارض الاسلامية ويهرعون للنقاتل
والنهب وكثيراً ما كانوا لا يستمعون لما ينصح لهم به مسيحيو البلاد الواسع اختبارهم في
الحرب في الشرق أكثر منهم . ولقد وصف مؤرخو الغرب نصارى الارض المقدسة
بالذلة والخدبة والفساد ونسبوا اليهم خراب ممالك سورية . وليت شعري ماذا يكون

من الصدق في هذه التهم ؟ لاجرم ان هؤلاء المنشردين من الافرنج قد اغتوا على
اسرع وجه واخذوا يعيشون في بدخ باحتكاكهم بشعوب فاسدين قد سرت اليهم فاسد
كثيرة ولا سيما من ولد منهم في سورية وكانوا يدعونهم المهارى ولكن الصليبيين
لم تكن لهم من المكانة ما يخلوهم اصدار مثل هذه الاحكام فانهم انفسهم بنعلهم قد احدثوا من
المصائب اكثر مما احدث نصارى سورية بقرتهم

يا شرق

لا الصبر ينقعه ولا الجزع
يأيل هذا ساءم قلبي
هل فيك ذوشجن يشار كفي
مررت الموم فتمت ادفعها
حلت بصدري لا تفارقه
من بات تدمع عينه اسفا
اشقت من دهرى على املي
وبلي عليه وهو يخدعني
قلب يكاد شجاء يطلم
يرعى النجوم وقومه جمعوا
اشكو له ما بي فيسمع
واذا هموم ليس تندفع
ان ضاق عنها فهي تنسع
فانا فواديه بات يدمع
واليوم انظر كيف ينقطع
ادريه حقيقة انه وانخدع

...

يا شرق لاجل هذه العادة هوى
وبنوك قد طبعوا على خلق
عاشوا بولف بينهم وطن
ينفرون على مذاهبهم
يجعلوا فاضعهم تعصبهم
انذرتهم يوما صواده
واريتهم زمنا ألم بهم
هناهم بالامس اذ نهضوا
اهدبهم ودي فما قبلوا
يا شرق اغرام بلك الطمع
وبلى سواء الناس قد طبعوا
فتخالفوا فيه وهم شيع
وعلى الاخاء الناس تجتمع
والله لو علموا لما خضعوا
لومست الافلاك لتصدع
ببريه السهام لم وينزع
واليوم ارثيهم وقد وقعوا
اخلفتهم نصحي فما اتبعوا

والشيء برخص حين تبذله والشيء بغلو حين يمتنع

...

ماذا على الاقدار لو نزعنا عن حربها فعداتها نزعوا
واسترجعت عهد الصفاء لم واذا نساء فذاك يرتجع
قد اجهلهم وهي عادة واغلبها يوماً سترتدع

...

أبني بلادي قد مضت ام هذا طريقهم الذي اشتروا
انا حللنا في منازلهم وقد انتجعنا حيثما اتجمعوا
ولئن بطرنا مثلاً بطروا فلسوف نصرع مثلاً صرعوا
ان تصبروا فلعللنا صبروا او تجزعوا فلتشد ما جزعوا
لم تعدنا حال لم عرضت فحياتهم وحوالنا تسرع
ابدأ تعيش على مفالية الدهر يحققنا ونرتفع
ونراه يبتدع الخطوب لنا حتى نفانت عنده البدع
لم ننفع بتجارب سلفت واخال لنا بعد نفع
اشياخنا بمشي بهر كلف وشبابنا بيجري بهر ولع
يتحاربون على فؤادهم والحرب تأخذ ضعف ما تدع
ما ذا لم لله درهم الناس قد عفوا وهم جشموا
ان القصور بين مقنعد مثل القبور بين مضطجع

...

أبني المسيح واحمد أنتبهوا ودعوا رجالاً منكم جمعوا
جاؤوا الوري والامر ملثم ثم أثنوا والامر متصدع
لم يرض احمد والمسيح بما صنعوا فلا ترضوا بما صنعوا
أرواحكم من بعضها قطع وجسومكم من بعضها بضع
لا تحبن خلافتكم ورعاً ان اتلافكم هو الورع
الملك تعليمه مدارس تلك المساجد فيه والبيع
ويجب تموز (لعائمه) لا تذكر الآحاد والجمع

...

لمن الطلول كأن عرصتها لموت منحوت ومزدرع
 آياتها ورسوما درست وخلا بها مشق ومرتع
 سكانها من محلها نزعوا ولطالما في خصبها رتعوا
 أسلافهم في غايها امنوا وبنوم في سوحها فزعوا
 شمع الزمان بهم وقد شمعوا واليوم يمشع اذ هم خشعوا
 قد زل عنه الصفو اجمعه وانتاب فيها الازلم الجذع
 كم عاش في آجامها بطل كالليث لا واث ولا ظلم
 ثبت تجرد من مفاضته يلقي الدجى درعا فيدرع
 يلقى الردى والبيض مصلته واسنة الخطي تشترع
 واخيل غضبي في اعنتها والتطق منطق ومنقشع
 تمشي الواحظ منه في ملك يسمو الجلال به فيتضع
 ...

حنام هذا الجهل مطرد ولى م ذلك القمي منبع
 تمضي الجدود بنا فيدركا من خلقها عجز تترجع
 وكان رب الدهر في يده سيف على الاعناق يلتمع
 مايرتجي الاحرار من زمن يزداد نيبا كلما ضرعوا
 اوفى على المضار حرقبا يتسابقون به ويقترع
 ان بلغوا غاياتهم هنوا او قصروا من دونها فجعوا
 هل تحت هذا الافق من ام جرعت كؤوسهم التي جرعوا
 أحشاؤهم حرى فما ابتدوا وكبودهم غلاى فما انتقموا
 انا لا قوام لنا هم للمجد تدفعا فنندفع
 العمر امون ان يضيق بنا والموت للاحرار منع
 القاهرة ولي الدين يكن

آداب الدارس والمدرس

من استقرأ ما كتب في هذا الباب الواسع قديماً وحديثاً، ير عددًا من المؤلفات والمقالات لا يأتي عليها الحصر، ولا يخفى أن لروح كل عصر مظهرًا فيما كتب في واجباته ومطالبه، وكثير منها تبدل بغيرها لمسبب الحاجة إلى ما هو أهم منها أو اختلاف العادات في أطوارها وشؤونها إلا أن ما يقتضاه العلم من آداب القائمين عليه درسًا وتدريسًا لتتلاقى أصوله مع كل زمان ومكان، لذا رأيت من انهم نقل ابدع ما كتب في هذا الباب، اذ الامة لا تبلغ اوج الجهد الا بالعلم ولا علم الا بصلاح الدارس والمدرس والعالم والمتعلم اذهم القانون على تهذيب الملكات وارشاد العقول، والمادون الى صراط الحق وميزان العدل والصدق

وقد رأيت من احسن ما جمع في مقاصد هذا البحث الجليل ما أورده محيي الدين النووي - احداثه الرواية والدراية المشاهير - في مقدمة (شرح المذهب) فأثرت عنه خلاصة اثره عن اساطين الحكمة المتقدمين وجعلته مقالة موجزة احكام درس العلوم الشرعية - انواع العلوم الشرعية لاتعد وفي احكامها ثلاثة اقسام القسم الاول فرض العين منها ويقال له الضروري وهو درس المكلف ما تصح به عقيدته وتجزئ مع عبادته، وتنفذ عقوده ومعاملته، وما لا غنى له عنه مما يتناوله ويستعمله

و يدخل في ذلك درس امراض القلب كالخسدة والعجب والبخل واثباتها من الملكات فقد قال الغزالي: معرفة حدودها واسبابها وطبها وعلاجها فرض عين: القسم الثاني فرض الكفاية ويقال له الحاجي وهو درس ما لابد للناس منه في اقامة دينهم كفظ القرآن والاحاديث وعلومها والاصول والفقه والتفسير واللغة ومعرفة رواة الحديث والاجماع والخلاف

ومنه ما يحتاج اليه في قوام امر الدنيا كالطب والحساب والهندسة ومنه تعلم الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالزراعة ونحوها القسم الثالث النفل ويقال له التحسيني وهو كالتيج في اصول الادلة والامان فيها وراه القدر الذي يحصل به فرض الكفاية والتوسع في فنون الادب والمعتول

آداب المدرس

ام ما يطلب منه ان يعتني به اديه في نفسه وادبه في درسه
القسم الاول ادبه في نفسه — وذلك في امور (منها) ان يقصد بتعليمه وجه الحق
سبحانه وتعالى لا توسلاً الى غرض دنيوي كمال او جاه او شهرة او تكثير المختلفين اليه
او نحو ذلك كما كان عليه سلف الامة فقد قال الشافعي رحمه الله : ودت ان الخلق
تعلموا هذا العلم على ان لا ينسب اليه حرف منه : وقال ايضا : ما ناظرت احداً قط على
الغلبة ووددت اذا ناظرت احداً ان يظهر الحق على يده :

(ومنها) ان يتفانى بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة
والشيم المرضية التي ارشد اليها كالعلم والعبر والسخاء والجود وطلاقة الوجه من
غير خروج الى حد الخلاعة وملازمة الورع والوقار والتواضع والتنظف في البدن
واللبسة

(ومنها) الحذر من الحسد والرياء والاعجاب وتزكية النفس وازراء الناس وان
كانوا دونه بدرجات

(ومنها) انه اذا ترخص في امر جائز وخيف ان يظن خلافاً ان يفخر اصحابه ومن
يراه حقيقة ذلك الفعل لينتفعوا ولئلا يأنموا بظنهم السيء
القسم الثاني ادبه في درسه — وذلك ان لا يزال مجتهداً في الاشتغال بالعلم قراءة
ومطالعة وتعليماً ومباحثة ومذاكرة وتصنيفاً

وان لا يستكف من التعلم ممن هو دونه في سن او نسب او شهرة او دين او في علم آخر
بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده وان كان دونه في جميع هذا

وان لا يستحي من السؤال عما لم يعلم روي عن امير المؤمنين عمرانه قال : من رقى
وجهه رقى عمله : وروى البخاري عن عائشة ام المؤمنين قالت : نعم النساء نساء الانصار
لم يمنعن الحياء ان يتفقن في الدين :

وان لا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه فقد كان كثير من
السلف يستفيد من تلامذته ما ليس عنده ، قال الامام النووي : قد ثبت في الصحيح
رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعات من التابعين عن تابعي التابعين ،
وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعياً وروى عنه اكثر من سبعين من التابعين ، وثبت في
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ لم يكن الذين كفروا على أبي بن كعب

وقال امرئ في الله ان اقرأ عليك : ويسمى هذا النوع رواية الاكابر عن الاصاغر
وان تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبة ورأس ماله فلا يشتغل بشيء فان اضطر
الى غيره في وقت فعل ذلك الغير بعد تحصيل وتليقته من العلم
ادبه في تصنيفه

قال النووي : ينبغي ان يعتني بالتصنيف اذا تأهل له فيه بطلع على حقائق العلم
ودقائقه ويثبت معه لانه يضطره الى كثرة التفتيش والمطالعة ، والتحقيق والمراجعة ،
والاطلاع على مختلف كلام الائمة ومنفقه ، وواضحه من مشكله ، وصحيحه من
ضعيفه ، وجزله من ركيكه ، ومالا اعتراض عليه من غيره ، وبه يتصف المحقق بصفة
المجتهد

وليحذر كل الحذر ان يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فان ذلك يضره في دينه
وعمله وعرضه
وليحذر ايضا من اخراج تصنيفه من يده الا بعد تهذيبه وترداد نظره فيه
وتكريره

وليحرص على ابضاح العبارة وایجازها فلا يوضح ايضاحا يفتني الى الركاكزة ولا
يوجز ایجازا يفضي الى الحق والاستغلاق
وينبغي ان يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق اليه اكثر والمراد بهذا ان لا يكون
هناك مصنف يقضي عن مصنفه في جميع اساليبه فان اغنى عن بعضها فليصنف من جنسه
مايزيد زيادات يحتفل بها مع ضم ما فات من الاساليب
وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج اليه
آداب تعليمه

التعليم هو الاصل الذي به قوام الدين والدنيا وبه يؤمن امحاء العلم وسيف التنزيل
الحكيم « واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » وقال النبي
صلى الله عليه وسلم « ليلبلغ الشاهد منكم الغائب »
يجب على المعلم ان يقصد بتعليمه وجه الله تعالى ، وان لا يجعله وسيلة الى غرض
ديني لان ما كان خالصا كان مستمرا غضا في كل حين وما كان لغرض زال عند الظفر
به ففات ما قصد له

ولا يمتنع من تعليم احد لكونه غير صحيح النية فانه يرجى له حسن النية . وربما

عسر في كثير من المبشرين وتصحيح النية فالامتناع من تعليمهم يؤدي الى نفوت كثير من العلم مع انه يرجى له تصحيحها اذا انس بالعلم وقد قال بعض السلف طالبنا العلم لغير الله فإني ان يكون الا لله : معناه كانت عاقبته ان صار لله
وينبغي ان يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية والقيم المرضية، ويحرض على الاخلاص والصدق وحسن النية

وينبغي ان يرغب في العلم وبذكوره بفضائله وفضائل العلماء
وينبغي ان يحو عليه ويعنى بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده ، ويجريه مجرى ولده في الشفقة عليه والاهتمام بمصالحه ، ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض معه في بعض الاحيان فان الانسان معرض للنفائس
وينبغي ان يكون ممكناً يذلل ماحصله من العلم سهلاً على متبعيه متلطفاً في افادته طالبه مع رفيق ونصيحة وارشاد الى المهمات وتحريض على حفظ ما يندله لهم من الفوائد .

ولا يذخر عنهم من انواع العلم شيئاً يحتاجون اليه اذا كان الطالب اهلاً لذلك
ولا ياتي اليه شيئاً لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ويعرفه ان منعه ليس شحاً بل شفقة واطفاً
وينبغي ان لا يتعظم على التلمين بل يلين لهم ويتواضع وفي التنزيل الكريم « واخفض جناحك للمؤمنين »

وينبغي ان يكون حريصاً على تعليمهم مهتاً به موثقاً له ويرحب بهم عند اقبالهم اليه
ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ، ويمسح بهم بعلمه وماله وجاهه ، ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته

وينبغي ان يتفقددهم ويسأل عن غاب عنهم
وينبغي ان يكون باذلاً وسعاً في تفهمهم ونقربب الفائدة الى اذهانهم حريصاً على هدايتهم

ويفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه فلا يعطيه ما لا يحتمله ولا يقره سر به مما يحتمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه ومهمته ، فيكتفي بالاشارة لمن يفهمها فهماً محققاً وبوضع العبارة لغيره ويكررهما لمن لا يحفظها الا بشكرار .

ويذكر الاحكام موضحة بالامثلة من غير دليل لمن لا يحفظ له الدليل فاجعل دليل بعضها ذكره له ويذكر الدلائل لمحتسها

ويذكر ما يرد على المسألة وجوابه ان امكنه

وبين الدليل الضعيف لثلا يغتر به فيقول : استدلوا بكذا وهو ضعيف لكذا وبين الدليل المعتمد ليعتمد

ويبينهم على غلط من غلط فيها من المصنفين فيقول مثلاً : هذا هو الصواب وامامنا ذكره فلان فغلط او ضعيف قاصداً النصيحة لثلا يغتر به لا لتقيص القائل فان الانتقاد انما يكون للقول لا لقائله

وبين له جملاً من اسماء المشهورين من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فمن بعدهم من الائمة والمشاهير وانسابهم وكناهم وأعصارهم وطرق حكاياتهم ونواديرهم ، وضبط المشكل من أنسابهم وصفاتهم ، وتمييز المشتبه من ذلك ، وجملاً من الالفاظ اللغوية والعرفية ضبطاً لمشاكلها ونفي معانيها فيقول هي مفتوحة او مضمومة او مكسورة مخففة او مشددة . مهموزة او لا ، عربية او اعجمية او معربة وهي التي اصلها عجمي وتكلم بها العرب ، معروفة او غيرها ، مشتقة او لا ، مشتركة ام لا ، مترادفة ام لا وان الميموز والمشدد يخففان ام لا ، وان فيها لغة اخرى ام لا

واذا وقعت مسألة غريبة لطيفة او مما يسأل عنها في المعايمة نبيه عليها وعرة . حالما في كل ذلك ويكون تعليمه ايام كل ذلك تدريجاً ليجتمع لهم مع طول الزمان جل كثيرات .

وينبغي ان يحرضهم على الاشتغال في شكل وقت وبطالهم في اوقات محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المعامات فمن وجده حافظاً مراعيّاً له اكرمه واتى عليه وأشاع ذلك ، ومن وجده مقصراً لامة ويمدده له حتى يحفظه حفظاً واضحاً

وينبغي ان ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيراً وينبغي ان يقدم في تعليمهم اذا ازدحموا الاسبق فالاسبق ويشرك في فهمهم بايسر الطرق ويذكره مترسلاً مبيتاً واضحاً ويكرر ما يشك من معانيه والفاظه حتى يفهموه ، واذا لم يكمل البيان الا بالتصريح بعبارة يستفي في العادة من ذكرها فيذكرها بصريح اسمها ولا يمتعه الحياء ومراعاة الادب من ذلك فان ايضاحها أهم من ذلك ، وانما يستحب الكناية في مثل هذا اذا علموا المقصود منها علماً جلياً وعلى هذا التفصيل يحمل

ماورد في الاحاديث من التصريح في وقت والكناية في وقت ، و هو آخر ما ينبغي تأخير
و يقدم ما ينبغي تقديمه ، و يقف في موضع الوقف ، و يصل في موضع الوصل
و يحسن خلقه مع جلسائه و يوقر فاضلهم بعلم اوسن او شرف او صلاح ، و يتلطف بالباقيين .
و ينبغي ان يصرف يديه عن العبث و عينيه عن تفريق النظر بلا حاجة ، و يعم الحاضرين
بالشفاه و يجلس في موضع يبرز وجهه لم

و يقدم من دروسه أهمها فيقدم التفسير ثم الحديث ثم الاصولين ثم الامم فالام ، ولا
يقرأ الدرس و به ما يزعجه كمرض او جوع او مدافعة الحدث او شدة فرح او غم
ولا يطيل مجلسه اطالة تملهم او تمنعهم فهم الدرس أو ضبطه ، وليكن مجلسه واسعاً
ولا يرفع صوته زياً على الحاجة ولا يخفضه خفصاً يمنع بعضهم كمال فهمه
و يصون مجلسه من اللغط والحاضرين عن سوء الادب في المباحثة ، و اذا ظهر من
أحدهم شيء من مبادي ذلك تلطف في دفعه قبل انتشاره و يذكرهم ان اجتماعنا ينبغي ان
يكون لله تعالى فلا يليق بنا المناقشة والمباحثة بل سبيلنا الرفق والحياء واستفادة بعضنا من
بعض واجتماع قلوبنا على ظهور الحق وحصول الفائدة
و اذا سأل سائل عن أعجوبة فلا يخفون منه

و اذا سئل عن شيء لا يعرفه او عرض في الدرس مالا يعرفه فليقل لا أعرفه اولاً
اتحققه ولا يستكف عن ذلك فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : يا ايها الناس من
علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال
الله تعالى لنبية صلى الله عليه وسلم « قل ما سألكم عليه من أجر وما انا من المكلفين »
رواه البخاري

قالوا : و ينبغي للعالم ان يورث اصحابه لا ادري : معناه يكثر منها ، ولا يضع ذلك
من منزلته بل يدل على وفور عقله وعظم محله لان المتكبر لا يضره عدم معرفته مسائل
معدودة ، وانما يمتنع من لا ادري من قل علمه وقصرت معرفته وضعت ثقواه لانه يخاف
لقصوره ان يسقط من أعين سائله او سامعيه وهو جهالة منه فانه باقدامه على الجواب فيما
لا يعلم يضر نفسه وغيره وقد بدوه بالغري العاجل والاثم الآجل وفي الحديث « المتشبع
بالم يعطه كلابس ثوبي زور »

(آداب الدارس « المتعلم »)

اما آدابه في نفسه فكآداب المدرس وقد اوضحناها

ويتقني ان يطهر قلبه من الادناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره ، وان يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد ، ويرضى باليسير من القوت ويعبر على ضيق العيش قال ابو حنيفة رضي الله عنه : يسعدان كل العلم يجمع المم ويسعدان على حذف العلائق باخذ اليسير عند الحاجة

وقال الخطيب البغدادي : يستحب للطالب ان يكون عزيزاً ما يمكنه لثلا يقطعه الاشتغال بمقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن اكمال طلب العلم وان يتواضع للعلم وينقاد له وياتمر بأمره كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح ولا يأخذ العلم الا ممن كملت اهليته وظهرت ذبائنه وتحققت معرفته وكان له دربة وخلق جميل وذهن صحيح واطلاع تام

وينبغي ان ينظر معلمه بعين الاحترام والرجحان على اكثر طبعته فهو اقرب الى انزاعه به ورسوخ ماسمعه منه في ذهنه وقد قال الشافعي : كنت اصنع الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحاً رفيقاً هبة له لثلا يسمع رفعها . وقال الربيع : والله ما اجترأت ان اشرب الماء والشافعي ينظر الى هبة له

ويروى عن علي كرم الله وجهه قال : من حق العالم عليك ان تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية ، وان تجلس امامه ، ولا تشير عنده بيدك ولا تفرز بينك غيره ولا تقول مال فلان خلاف قوله ولا تغتاب عنده احداً ولا تدار في مجلسه ولا باحد بيوته ولا تلح عليه اذا كسل ولا تشبع من طول صحبته فاتما هو عليك كالخلة تنتظر متى يسقط عليها منك شيء

ومن آداب المتعلم ان يحرمى رضا المعلم وان خالف رأي نفسه ولا يقشي له سرراً وان يرد غيبته اذا سمعها فان عجز فارق المجلس وان لا يدخل عليه بغير اذن واذا كان معه غيره قدم الافضل والاسن وان يدخل كامل الهيئة فارغ القلب من الشواغل متطهراً متأنقاً بسواك وقمى ظفر وازالة ريج كربه وسلم على الحائرين بصوت يستمعهم ويخص الشيخ بزيادة اكرام وكذلك يسلم اذا انصرف

ولا يخطى رقاب الناس ويجلس حيث انتهى به المجلس الا ان ياذن المعلم او الحاضرون بالتقدم والتخطي او يعلم من حاطم ايثار ذلك ولا يقم احداً من مجلسه فان آثره غيره بمجلسه لم يأخذه الا ان يكون في ذلك مصلحة للحاضرين بان يقرب من الاستاذ ويذاكره مذاكرة ينتفع الحاضرون بها ولا يجلس وسط الحلقة الا لضرورة ولا

بين الصاحبين الا يرضاهما واذا فتح له قعد ويجرض على القرب من الاستاذ ليفهم كلامه فهاً كاملاً بلا مشقة على شريطة ان لا يرتفع في المجلس على افضل منه ويتأدب مع رفقه وحاضري المجلس فان تأدبه معهم تأدب مع الاستاذ واحترام مجلسه ويقعد قعدة المثمنين ولا يضحك ولا يكثر الكلام ولا حاجة ولا يبعث يده ولا غيرها ولا يلتفت بلا حاجة بل يقبل على الاستاذ منتصباً اليه ولا يسبق الى شرح مسألة او جواب سؤال الا ان يعلم رضاه فيستدل على فضيلة المتعلم ولا يقرأ على استاذ عند شغل قلبه وملاذه وغمه ونعاسه ونحو ذلك مما يشق عليه او يمنعه استيفاء الشرح ولا يسأله عن شيء في غير موضعه الا ان يعلم من حاله انه لا يكرهه ولا يبلع في السؤال الحاحاً مضجراً ويغتم سؤاله عند طيب نفسه وفرأه ويتلطف في سؤاله ويحسن خطابه ولا يستحي من السؤال عما اشكل عليه بل يستوضحه اكمل استيضاح فن رق وجهه ورق ثلته ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال .

واذا قال له الاستاذ فهمت فلا يقل نعم حتى يتضح له المقصود ايضا كما جلياً لثلا يكذب ويقوته الفهم ولا يستحي من قوله لم افهم لان استيفائه يحصل له مصالح عاجلة واجلة فمن العاجلة حفظ المسألة وسلامته من كذب ونفاق باظهاره فهم ما لم يكن فهمه منها ومنها وثوق الاستاذ باعتنائه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه ومن الاجلة ثبوت العواب في قلبه دائماً واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق الرضية وعن الخليل بن احمد منزلة الجهل بين الحياء والافتة وينبغي اذا سمع الاستاذ يقول مسألة او يحكي حكاية وهو يحفظها ان يصغي لها اصغاه من لا يحفظها

وينبغي ان يكون حريصاً على التعلم مواظباً له في جميع اوقاته ليلاً ونهاراً حاضراً وسفراً ولا يذهب من اوقاته شيئاً في غير العلم الا بقدر ما لا بد له منه من اسكل ونوم وراحة وما اجل قول الشافعي : حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم والصبر على كل عارض دون طلبه واخلاص النية لله تعالى في ادراك علمه نصاً واستنباطاً وازغبة الى الله تعالى في العون عليه

يقال : اجود اوقات الحفظ الاسحار ثم الغداة وحفظ الليل اتفع من حفظ النهار لتراغ البال وهدوء الحركة ووقت الجوع اتفع من وقت الشبع واجود اماكن الحفظ

الغرف وكل موضع بعد عن الملهيات ولا يعمد الحفظ بحضرة النبات والخضرة والانهار وقوارع الطرق لانها تمنع غالباً خلو القلب

واذا جفاه الاستاذ رجع اليه بالاعتذار واظهر زده وخطأه فذلك انفع له ديناً ودنياً وابقى لقلبه وقد قالوا : من لم يصبر على ذل التعلم بقي دهره في عماية الجهل

ومن آدابه الحلم والأناة وان تكون همه عالية فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير وان لا يسوف في اشتغاله ولا يؤخر تحصيل فائدة وان قلت اذا تمكن منها لان للتأخير آفات ولا يحمل نفسه مالا تطيق مخافة الملل

واذا جاء مجلس استاذه فلم يجده انتفاز ولا يفوت درسه

واذا وجده نائماً لا يستاذن عليه بل يصبر حتى يستيقظ او يعترف والاحسن الصبر كما كان السلف يفعلون

ويتبني ان يفتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وحال الابواب وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الاواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزل فقد قال الشافعي : نفقه قبل اسف ترأس فاذا رأست فلا سبيل الى النفقه :

ويعني بتصحيح درسه الذي يحفظه تصحيحاً متيناً وكرره مرات ليرسخ رسوخاً متيناً كما ثم يراعيه بحيث لا يزال محفوظاً جيداً ، واذا كرر محفوظاته وليدم الفكر فيها ويتبني ان يبدأ من دروسه وفي الحفظ والتكرار والمطالعة بالامم فالامم ، واول ما ينبغي به حفظ القرآن العزيز فهو اهم العلوم ، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه الا بالثبات حفظ القرآن واذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالا يؤدي الى نسيان شيء منه او تعريضه للنسيان ، وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصراً^(١) ويبدأ بالامم ، ومن اهمها الحديث والاحول والفقه ثم الباقي ثم يشتغل باستشراف محفوظاته ويعتمد من الشيوخ في كل فن اكملهم في الصفات السابقة وكلما القن مختصراً انتقل الى اكبر منه مع المطالعة المتقنة والغاية الدائمة المحركة وتعالق ما يراه من النفائس والغرائب وحل المشكلات مما يراه في المطالعة او يسمعه من الاستاذ

(١) ليتأمل هذا الترتيب الذي اثرتاه عن النووي الاثر له عن علماء القرون الاولى ولينظر هذه العناية البدئية التي لا يستكثر بعدها ان يأتي منها رجال ملاء الدنيا شهرة وآثراً

ولا يختزن فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت بل يبادر إلى كتابتها ثم يواظب على مطالعة ما كتبه

وليعتن بكل الدروس ويقتا عليها ما أمكن فإن عجز عننى بالام
وينبغي أن يرشد رفيقه وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة وبذلك لهم
ما استفادوه على جهة النصيحة والمذاكرة

ثمرة ذلك

قال الامام النووي رحمه الله اثر ما تقدم: وإذا فعل ما ذكرناه ، وتكاملت أهليته ، واشتهرت
فضيلته ، اشتغل بالتصنيف ، وجد في الجمع والتأليف ، محققاً كل ما يذكره ، ومبيناً في
نقله واستنباطه ، مقرباً لإيضاح العبارات ، وبيان المشكلات مجتنباً العبارات
الركيكة ، والأدلة الواهية ، مستوعباً بعظم احكام الفن غير مخجل بشيء من اصوله
منها على القواعد فبذلك تظهر له الحقائق وتكشف المشكلات ، ويطلع على الفواض
وحل المعضلات ، ويعرف مذاهب العلماء والراجح من المرجوح ، ويرتفع عن الجرد
على محض التقليد ، ويلتحق بالائمة المجتهدين أو يقار بهم ان وفق الله وبالله التوفيق
اهل كلام النووي

آداب يشترك فيها العالم والمتعلم

ينبغي لكل منهما ان لا يخل بوظيفته لمرض خفيف ونحوه مما يمكن معه
الاشتغال وان لا يسأل احداً تمنناً وتعجزاً فالسائل تمنناً وتعجزاً لا يستحق جواباً
وان يعتني بتحصيل الكتب شراء واستئجاراً وليشتغل بنسخه أو استئجاره اذا كان
تقياً وليعتن بتصحيحه ، ولا يرضى الاستعارة مع امكان تحصيله ، فان استعاره لم
يخطئ به لثلا يفوت الانفعاع به على صاحبه ولا يكسل عن تحصيل الفائدة منه ، ولا
يمنع من اعارته غيره لانه اعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل (روي) ان رجلاً
قال لابي العتامة اعزني كتابك قال: اني اكره ذلك قال: اما علمت ان المكارم موصولة
بالمكاره : فاعاره ، ويستحب شكر العجز لاسانه ، ويحذر من الابطاء بها عن اربابها
قال الزهري: اباك وغلول الكتب: يعني حبسها عن اصحابها ، وبسبب حبسها امتنع
غير واحد من اعارها واشدوا في ذلك اشياء كثيرة

(خاتمة)

هذه النبذة من آداب المدرس والدارس او المعلم والمتعلم مختصرة بالنسبة الى ما جاء

الافلام بالنظر فيه قبل نشره كما هو الحال في بعض بلاد الغرب الى اليوم ولا سيما قبل ان يكون اهل كل لغة من اللغات الافرنجية محكمين للملكة الانشاء في لسانهم وياخذوا يوم نرى في كل مطبعة من مطابعنا عالما مصححا يعني يقوم المحققات اللغوية والبيانوية وغيرها يخرج جميع ما كتبه ونعربه سالما من العيوب من كل وجه . وسيفي هذا المقام نعيد شكرنا للمربين على نشاطها وحسن بلائها ونرجو لها التوفيق الى اتمام بقية اجزاء الكتاب ونحث محبي الاطلاع ودرس تاريخ هذه البلاد ان يقتنوه ويتدارسوه فهو اول كتاب سياسي يتعلق بحياة هذه الديار

دورس الجغرافيا

للسيد عبد الهادي الاعظمي طبع بمطبعة دنكور في بغداد سنة ١٣٣٠ ص ٥٥
 نرحب بكل كتاب علمي يصدر بالعربية في مصر وتونس والشام والعراق لانه دليل النهوض الحقيقي والامة العربية لا ترقى الا اذا كان فيها كتب ابتدائية ووسطى وعليا في كل فن من فنون الحضارة . وقد اعتمد مؤلف هذه الرسالة على الكتب التركية وفقا لبرنامج المعارف وتوسع في القسم الآخر وهو المتعلق بالبلاد العثمانية والتعطر العرقي منها خاصة وخاطب التلميذ الصغير فيه خطابا يروقه ويقرس فيه هرسة الوطنية ولنا على رأي المؤلف في كلامه على تونس ولا في كلامه على طرابلس وبنغازي فقد قال في الاخيرتين « وهي التي عليها تحاربنا بل تحاربها اليوم ايطاليا تريد اغتصابها وهيئات فستبوء بالخسران عاجلا ان شاء الله . . . وهناك اخوانكم المجاهدون يدعونكم الان الاشتراك معهم في هذه السعادة الابدية الشهادة في سبيل حفظ الدين والوطن » فان هذه العبارات لا تدخل لها في رسالة في وصف البلدان تعلم للصبيان كما ان القصيدة التي اقتبسها في الاسطول آخر الرسالة لاصلة بينها وبين الموضوع بحال .

وقد وقعت في الرسالة تحريفات مطبعية ونحوية وجغرافية وغيرها شوهت وجه المعنى واخرجته عن القصد احيانا وكنا نود لو يعرى منها مصنف ألف للاحداث حتى ينطبعوا منذ نشأهم على الصواب . منها قوله الجغرافيا الطبيعي والجغرافيا الرياضي والجغرافيا السياسي والجغرافيا السياسية لان لفظة الجغرافيا مؤنثة وقد طبع بذلك التركية ومنها قوله البر العتيق (لاوروبا وآسيا وافريقية) والاصطلاح ان يقال العالم القديم كما يقال العالم الجديد لا البر الجديد ومنها قوله (ص ١٦) ساورنيا ساجليا للجزيرتين المعروفتين في البحر الايض والصواب ساردينيا وصقلية ومنها ان

اسم عاصمة الجبل الاسود شتبه والصواب سننية او جننية وقوله جنوه في بلاد تركستان والصواب خيوة وجنوة في ايطاليا ومنها قوله ان مساحة سورية تبلغ ١٠ الف كيلومتر مربع والاصح ١١٥ الف وفي تقويم غوتا ان مساحة لواء القدس ١٦ الف كيلومتر مربع ومساحة متصرفية لبنان ٣١٠٠ ولواء الزور ٢٨ الف (ويعد معظم من سورية) وولاية سورية ٩٥٩٠٠ وولاية بيروت ١٦ الف وولاية حلب ٨٦٦٠٠ ونحو نصفها من بلاد سورية . واخطأ في قوله ان الجزائر دخلت في حوزة فرنسا منذ قرن تقريباً والصحيح انها بدأت في املاكها سنة ١٨٣٠ . ومن التريفات في الاعلام قوله ان قصبة جرابوب ام مدت السنوسيين في افريقية والصواب جغبوب وتابع اصطلاح بعض الكتاب في استعاضتهم عن « صلى الله عليه وسلم » بصلعم والاجدر بمقام النبوة ان يذكر اللفظ كله فان بعض علماء المشرقيات ممن طبعوا الكتب العربية في مطابع الغرب جبروا على هذا الاصطلاح حب الاقتضار بادي بدو ثم رجعوا عنه فغسى ان يصلح المؤلف كل ذلك في طبعة ثانية و عارض اسماء البلدان على ما طبع من كتب الجغرافية لعلماء العرب في اوربا ليتابعهم في اصطلاحهم وذلك في مثل كتاب معجم ما استعجم للبكري وتقويم البلدان لابي الفدا ومعجم البلدان لياقوت والمسالك والممالك لابن حوقل والتنبيه والاشراف للسعودي ومسالك الممالك للاصطخرسي وصفة جزيرة العرب للهمداني والاعلاق النفيسة لابن رسته واحسن التقاسيم للقدسي وكتاب البلدان لابن الفقيه ومسالك الممالك لابن خرداذبة وزبدة كشف الممالك للطاهرى وعجائب البر والبحر لشج الرتبة وغيرها من الكتب الممتعة التي نفهم منها اصطلاحات العرب وتعبيرهم ومعظم ما ذكره لم يطرأ عليه تغيير على كثرة ارتقاء علم الجغرافيا في العهد الاخير . وفي الختام لا ترى بداً من الثناء على المؤلف راجين ان يظل على نشر كل ما يث المكارف بين الناشئة للمعرفة

كتاب خالد

THE BOOK OF KHALID; BY AMEEN RIHANI.

هو مجلد في ٣٤٩ صفحة نشره بالانكليزية في نيويورك صديقنا امين افندي ريحاني وهو رواية فلسفية اجتماعية جمع فيها بين الكلام على المدنية الشرقية والمدنية الغربية واقى على ذكر الاوضاع الدينية والسياسية بالسان رشيق مفرط في الحرية شهد له المارقون بأدب اللغة الانكليزية انه بعد في الطبقة الاولى من احكام بيانها

وازه شاعر غير مدافع في منظومه ومنشوره نفسى ان يكون لكتابه بين العارفين بملك لغة من الوقع ما كان لكتبه باللغة العربية من الاثر في ازالة غشاوة الاوهام وعسائه بنقله الى العربية فيستفيد منه المشاركة والمغاربة على حد سوى فالاقربون اولى بالمعروف ومثله من يغار على انماض الامة العربية ويتوفر على تعلمها مما علم العقود اللؤلؤية

E. J. W. GIBB MEMORIAL. (VOL. III): THE PEARL-STRINGS; A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN, BY 'ALIYYU, BUU, L-HASAN 'EL-KHAZREJIYY

للبن توماريج كثره مختلفة الازمان ومن اكبر مؤرخيها ابو الحسن علي بن الحسن الخوزرجي النسابة المعروف بابن وهاس المتوفى سنة ٨١٢ قال كاتب جلبي انه عني باخبار البن فجمع تاريخاً على السنين وآخر على الاسماء وآخر على الدول وغيرها . ومن جملة مصنفاته كتاب العقود اللؤلؤية فهو خاص لتاريخ الدولة الرسولية نسبة الي بن رسول التي حكمت بلاد اليمن زهاء قرنين (٦٢٦ — ٨٤٠) وقد طار بعض علماء المشرقيات نسخة منه في المند قد ترجموه بالانكليزية ونشرت الآن جمعية تذكاري «جب» ثلاث مجلدات من الترجمة وسينشر الاصل العربي عما قريب وقد ترجمه ونشره اربعة من ائمة المشرقيات في انكلترا وهم ريدموس وبراون ونيكلسون وروجرس وستيفس في الكلام على هذا التاريخ متى صدرت النسخة العربية منه ونكتفي الآن باسداء اطيب التناء على من تحضوا لخدمة الآداب والتواريخ العربية من العارفين بلغات الشرق من الغربيين ومن يعنون بنشرها امثال لجنة تذكاري «جب»

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف الشيخ محي الدين الخياط القسم الرابع من ٢٤٨ طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت وبمقتضى المكتبة الاهلية فيها سنة ١٣٢٩

تكملة على الاجزاء الاولى من هذا الكتاب وهذا الجزء يشتمل على مجمل تاريخ الدولة العباسية وقد جعله المؤلف جملاً لكل جملة او قطعة تختوي خبراً يصح السكوت عليه وجعل في آخر كل درس اسئلة للطلاب يجيب عليها فيدل بذلك ان كان فهم مامر به من الحوارث او لم يفهمه . وذلك بتفسيق حسن وعبارة سهلة فصيحة لا شائبة فيها بحيث جاء كتابه مستوفى في موضوعه لاهل الطلاب في التاريخ وقد جعل في الاخير صفحات فيها زبدة مامر بالدارس ثم اتبعه بمجدول يبين فيه ازمنة دولة الخلفاء الراشدين والدولتين الاموية والعباسية بالتاريخين الهجري والميلادي كل ذلك بحرف جلي وطبع

مشرق وياحبذا لو شكل بعض الاعلام التي قد نشته على اكثرا الطلاب وعساء بشدارك ذلك في الطبعة التالية وفقه الله لانتماء هذه السلاسل النافعة

اريج الزهر

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٩ - ١٩١١

ص ٢٤٠

هو كتاب اخلاقي اجتماعي ادبي حوى ما كتبه المؤلف من المقالات في الموضوعات المختلفة في الصحف والمجلات بعبارات سليمة من التعقيد عارية عن الغلط اللغوي والبياني ترضاها الخاصة ولا تنبو عنها اسماع العامة كما اعتاد قلم المؤلف في الكتب المدرسية وغيرها مما نشره حتى الآن من منظومه ومنشوره . وكتابات مثل صديقنا المؤلف هي الحلقة الموصلة بين اكثر طبقات القراء والكتب العالية في الادب والاجتماع والاخلاق ومسهلة طرق تفهمها

وقد قدم لهذا الكتاب الشيخ محي الدين الخياط الفاضل المشهور مقدمة رائقة بناها على حب الظهور وشرح ماله من الدخول في ارتقاء الامم بعبارات تجمع الى المائة سلاسة ثم صرف بصاحب المجموع واتى بنموذج من ادبه الغض وعرف المجموع وصاحبه بهذه الجملة « هذا المجموع هو « زهرة » شبيهة فاضلة فاح « اريجها » اذ لم تدنسها اوضار الزب ولم ينهكها ذبول الشرق فهو « زهر » اخلاق وفضائل بل هو خيرة مجسمة وحماسة تريد النهوض بناتشة الشرق والاشراف بهم على مدينة الغرب شأن اصحاب النفوس الكبيرة التي تريد الصعود من مدارج المجد والظهور من شرفات العلا . »

ومن مقالات هذا السفر اللطيف . نهج البلاغة او اساليب الكلام العربي . ابها الانسان . اخط رجال ام تخط وجدان . الى الامة العربية . الترية اساس النجاح . الانامية وحب الذات . رجال الاصلاح . الارادة . الانقلاب والرتب . حديث مع النابتة . الانقصاد ومشارب المتنقدين . سعادة الحياة . دلائل التوحيد . ام القرى . مجلس الامة . المال والشرف . العادات . المبسر . الاستقلال للشخصي . القابلية والفاعلية . التنظيمات والامم . الثورة الادبية . السد الاجتماعي . الرابطة الدينية . الخرافات والبدع الدينية . العرب والترك . اللغة العربية وغير ذلك مما لا يغفل عن الخطايبات للتأثير في الجمهور وهي تشف عن خيرة وطنية وارادة قوية في السعي لانهاض العقول

من كبريتها في الشرق الاسلامي . فحث المتأدبين على اقتناء هذا الكتاب وفق الله
مؤلفه الى اتمام ما يريد من التأليف والنشر فان المؤلفين من المسلمين في بلاد
الشام قلائل جداً والمجيد فيهم اقل وبعض من يقنطرون على الوضع والنقل شغلوا
بالخوض في الموضوعات السياسية الزمنية في الصحف فاضاعوا ملكاتهم الا قليلاً ومهما
ان تولي امة بكون معظم اهلها ساسة ولذا وجب علينا تكريم كل من يتصدى لنفع امة
من طريق الاصلاح العلمي والادبي والديني من اهل هذه الديار وفي جملتهم مؤلف
اربج الزهر .

البصائر

مجلة جديدة تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئها جميل بك العظيم وقيمة اشتراكها
ريالان وعدد صفحاتها ٤٠ ومن مقالاتها مقالة في التنجيم والمنجمين واخرى في الخط
ومشاهير الخطاطين وهي تطبع كل شهر ملزمة من مخطوط قديم وبدأت الآن بنشر
كتاب تحبير الموشين في التعبير بالسین والشين للفيروز ابادي صاحب القاموس .
والمؤلف من الافاضل الذين يحسنون الكتابة بالتركية والعربية له اطلاع مع على
المخطوطات العربية ووقوف على الادب وما ينبغي له ولذلك يرجى ان ينفع الاداب
العربية بمجلته لانه يعرف الانتقاء ويحسن التأليف وبعد في جملة الاكفاء الذين
أقدوا على نشر المجلات في الشام بعد حرية المطبوعات فعسى ان يثبت في خطته
التي اختطها في مجلته والثبت أس النجاح في كل الاعمال ولا سيما العلمية التي فلما يجد
عليها صاحبها نشيطاً مادياً او معنوياً في بلاد تسعة اعشار اهلها أميون والمتعلم منهم
لا يعرف غير القشور دع عنك من كتب لم درس الدروس العالية ومعظمهم لا يهتمون
بغير التجارة والوظائف

اخبار وافكار

العرب والتجارة^(١)

بين تخوم آسيا وافر بقية تعقظ شعب يعهد سكوتاً لكنه ميسنولي على بلاد البحر الرومي ثم يتدخل لينافس الغربيين ونحن الآن لا يمكننا ان نقول شيئاً عن الحروب الصليبية قبل ان نذكر طرائف عن تلك الامة العربية ونبيها محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى البعثة المحمدية. كان العرب انسياً اليهود يعيشون العيشة الرعائية غير انهم عشاق سفر امتازوا بحب التجول وقوة الهجوم وشدة الانفعال ولبس لم الا الشرف وحب الشعر والادب وبغض الكذب مذهب يدينون به على ان اكثر الاديان التي وجدت قبل البعثة المحمدية كانت تذابها العقيدة الفثية وتجيز الاستلاب لارابطة بين القبائل تضم الشعب سوى احتفالهم العام في ام القرى كل عام

كان الانبياء الخيفيون منذ القرن السادس من التاريخ المسيحي تترس على العرب لقطع شأفة الوثنية وارجاعهم للملة ابراهيم ومحمد احدهم ولا الخيفيين يدانه انصهرهم لساناً واكثرهم افناكالعقول

ولد محمد في مكة عام ٥٧٠ م بين القرشيين سدة الكعبة ومروحي سلع عقائدهم القديمة فقام بنذر وبكبر حتى خاصمه اهل قبيلته بل اقرب الناس اليه وقاوموه جد المقاومة فلم يربداً من المهاجرة الى يثرب التي سميت بعدئذ بالمدينة وهنا ابتداً تاريخ المسلمين الهجري موافقاً ١٦ تموز عام ٦٢٢ م

وبعد دخوله يثرب وجد بلداً طيباً ليزر بذور دعوته فاتخذ له انصاراً مخلصين اشد بهم ازراً فأعلن الحرب على المكين ثم دخل مكة وطنه ظافراً وكسر فيها الاصنام ونشر الحكمة والكتاب وجمع شملهم بأصرة الوحدة الاسلامية العربية ثم توسع بعد أداء وظيفته العظمى عام ٦٣٢ .

الاسلام او الاستسلام الى الله بعث في اتباع محمد وانصاره روح النشاط والغيرة وعصبية مذكرتهم زمام العالم وجعلتهم اساتذة. اذ في قرن واحد اي من عام ٦٣٢ الى ٧٣٢ استولى خلفاؤه الصحابة الراشدون والامويون والوارثون ومن بعدهم على سورية وفلسطين

(١) اقتطفناها من كتاب المختصر من تاريخ تجارة البشر لبولرسون

والجزيرة سنة ٦٣٨ ومصر ٦٣٩ وفارس ٦٤٢ ثم تتابع استيلاؤهم على تركستان وقطاعة من الهند وبلاد الارمن وقبرص واقر يطش (كريت) وطرابلس الغرب وافريقية الشمالية كلها وعلى صقلية ومسردينية والجزائر البليارية ثم هجم تيارهم على بلاد غاليا الافريقية وهدد هناك كيان النصرانية الا انه وقف ذلك التيار الجارف سنة ٧٣٢ م

وان استبحار عمرانهم ومسرعة انتشار سلطتهم في المسكونة لما يساعدنا كثيراً على فهم مكانة المدنية العربية تلك المدنية التي يعتقد بدينها اليوم أكثر من ٣٠٠ مليون من البشر فقد كانت هذه الحضارة الباهرة في القرون الوسطى مزيجاً من المدنية البيزنطية والمسيحية وتم هذا المزيج المدني بامر من الاول عشق العرب للتجارة والثاني غرامهم بالاستعمار وقد قال نبي العرب الذي كان قائد قوافل في حداثته ثم صار تاجراً : (ان الله يحب المؤمن المحترف) وامر العرب ان يدرسوا فنون الادب والعلوم قائلاً (الناس عالم ومعلم ولا خير فيما بينهما) وبذلك اصبحوا لذكائهم الوقاد وحب اطلاعهم على كل شيء يخوضون غمار العلوم الطبيعية والرياضية فابتدعوا الكيمياء وبرعوا بها وطبقوا تلك العلوم على الزراعة والصناعة ولم تنته على سائر الامم بارقامهم العربية النابتة مناب الرومانية وباستنباطهم فن الجبر والمقابلة واختصارهم الهندسة واعمالهم الجيولة الفلكية في ابحاث سمت الشمس ومعادلة الليل والنهار والبقع الشمسية فقد اصطنعوا الآلات العجيبة الفلكية كالاصطرلاب ونحوه واكتشف كجوا يوم واحبوا يوم خواص الانكحول والنشادر وحامض الازوت والكبريت والمياه المعدنية وادخلوا في كثير من علاجاتهم مواد من نبات بلادهم الوطنية كالكمكافور والراوند والسنا المكي وقد اوصلتهم قراهم التاريخية لانشاء عمل شعري بديع وهو الف ليلة وليلة اقول وهم امرع الناس لتدوين انسابهم وملاحمهم وابطالم ورواية اشعارهم والكتابة في فلسفة التاريخ وفنون الاجتماع كابن خلدون وغيره من جهابذة الاسلام .

اما الفنون الجيولة فان العرب قد نهجوا فيها نهج البيزنطيين ولم يخالفوهم الا بعدم تجسيم الحيوان ولكنهم استعاضوا عنه بالنقش النباتي (Arabesque) . من تشبك اوراق واقواس باهرة وفصفا زاهرة وآطام ومعاهد (Monument) ساحرة كقصور تونس ومصر وبغداد وحمام عمر في القدس وجامع قرطبة والقصر في اشبيلية والحراء في غرناطة الخ .

والعرب همال زراعة ورجال براءة فقد برعوا في سقي الجنائن واخترعوا النواعير الهجيبة بل ووطنوا النباتات والاشجار الافريقية والاسيوية في اوربا كالنخل والبرنقال والنوت والقطن وقصب السكر والذرة والارز والحنطة السوداء والزعفران والهندباء والخرشوف والسبانخ والبادنجان والطرخون والبصل والياسمين الخ .

وينسب اليهم اختراع طواحين اهواء ونواعير الماء وهم الصناع المجيدون الاولى صنعوا الجلود القرطبية وعملوا البسط الفاخرة ونسج الشف (برنجك) والحريرسما الاقشة الموصلية والاقشة والاسلحة الدمشقية وماء الورد والورق المصنوع من الخرق البالية والقطن الذي كان يعمل في سمرقند وبخارى ودمشق وبلنسية ومعامل الزجاج الملون ومصانع الفخار الالامع والالوان المغربية وموارد اخرى عديدة بها اثرت بغداد وطيطة وقرطبة .

وفي التجارة احرز العرب فوق النضال على سواهم فقد رفوا الصناعة البحرية ووضعوا قوانين لحقوق الملاحة واستعاروا بيت الابر من الصينيين (بوصلة) وضبطوا التجارة بفن مسك الدفاتر اي ضبط وشرحوا الكفالة وانشأوا المصارف للفقراء ووضعوا السفاتج (كبيالة) المألوفة وردود التمسك (بروستو) وبعثوا روح الحركة في مصارفنا الحديثة .

وكنتم تراهم حيثما سكنوا مهدوا السبيل وأمنوها وعمرهم والمرافق والغرض واصلحوا وانشأوا الفنادق والرباطات ورتبوا سيرة القوافل الاقتصادية ولم تكن المدن الاسلامية غير اوساط تجارية كبرى و بغداد دار السلام لم تكن من القرن الثامن للعاشر ومينائها البصرة غيز مستودعات للشرق يجذافيره فقد كان بها مليون من السكان وكان لتجارها الكبار علائق مع الموصل والبلاد الارمنية وفارس وتركستان (بخارى وسمرقند) والهند وجزائر الصوند (جاوة وصومطرا) التي كانت تباع الاخشاب الثمينة وكانوا يواصلون الصين بطريقين بري وهو ما نهجه الرومانيون ممتد في سهول الباهر ووادي ناريم والآخر بحري وهو المحيط الهندي ومن محطاته مرفأ قانطون وسينغارة القديمة التي كانوا يجلبون منها الاقشة الحريرية والالوان الصينية وقطن نانكين والورق الارزي وصمغ اللك ثم يرجعون ادراجهم الى بغداد لتوزعها على سائر الجهات التي يستعمل اهلها سكة الخلفاء . والدرهم الفضي كان يساوي نحو فرنك والدينار الذهبي مقدار ١٣ او ١٤ فرنكاً وقد اهدى هارون الرشيد خليفة بغداد لشارلمان الاقشة الحريرية والعطور وشمعدانا

شعباً من القل (بروتر) وصاحة مائية كانت سبباً لا عجب فرنجة ايكس لاشايل فقباله على ذلك بالخيول المطهحة والبغال المزينة وكلاب الصيد واقشة مدنية فريز الصوفية . وكانت بغداد منصلة بكابل لاسواقها الشهيرة مع سمرقند وحلب المرتبطتين بحبل من القوافل السيارة متين . وهكذا كانت بنقل شال كشمير^١ واقشنتها ومسك التبت وتركستان وعقاقيرهما على ظهور الجبال في الغدو والآصال . وكانت دمشق مدينة الصناعة الجيلة مركز تجارة شبه جزيرة العرب ومصر وسورية . وبواسطة نهر السويس كانت تصل للعرب بضائع عدن وجدة . وقد تحول لمصر قسم عظيم من الحركة التجارية وذلك من البلاد التي بنيت فيها البذور الاسلامية كالشرق الاقصى ومنه الصين وماليزيا واصقاع قروماندل ومالابار وجزيرة مدغسكر وقد انشأ الخلفاء الفاطميون مصر القاهرة احي مدينة النصر ولا تبعد عن منفيس القديمة كثيراً

واحتفظت مدينة الاسكندرية ملياً بمكانتها السابقة وحرفت عربها نهر تراجان مرة ثانية وبه شدد وثاق النيل بالبحر الاحمر وسبروا باسفارم اغوار بلاد الحبشة وكردوفان واسسوا المكاتب التجارية في اقطار افرقية الشرقية ومونباسا وكيكوا وموزامبيق وصوفالا وميلندا وجلبوا منها المسحوق الذهبي والماج وحراشف السلاحف البحرية واصبح في المغرب من العواصم الشهيرة كالقيروان ومرقاها السوس الصغير وارغلا وواحتا الغنية في الصحراء الجزائرية وتلسان وفاس وغيرها من المدن الكبرى التي كانت بتتابع البيع والشراء والاخذ والمطاء

وكان سكان فاس ٥٠٠ الف وتصدر مختلف الاصواف والجواهر (المعادن) والطور والجلود المراكشية واستمرت مستعمرات في فزان وطواط والسودان وكانت طمبكتو التي يقطعها نهر النيجر محمداً كبيراً من مجامع الوكلاء التجارية . واما قرطبة عاصمة الاندلس فقد كانت تحتو على مليون من الهشرو على ٢٧٣ الف بيت و ٦٠ الف قصر (خلعت عليه جمالها الايام) وكانت في اشيلية ٣٠٠ الف نسمة وطليطلة ٢٠٠ الف وكذلك غرناطة وفادس ومالقة والمرية ومرسية وجيان وطليطلة ومرقسطة وبرشلونة فقد كانت هذه البلاد تضم بين جوانحها مختلف الشعوب الاسبانية ومتباين الامم الغريبة التي كانت ترد حياضها لتناول اقداح العلوم والصنائع والفنون ولجلب صنائع التبرج والزينة ودامت العلائق الاقتصادية زمناً بين بينز ومونيلية الفرنسيين وبين اسبانيا المسلمة .

واما برشلونة واشبيلية فقد كانتا من اكبر المواني الاسبانية وكانت الاولى ترسل سفنها للغرب وآسيا الصغرى ورودرس والقسطنطينية وعقدت في مصر معاهدات شتى مع بيزا وجنوة الايطاليين في مسائل الحوالات وسائر اعمال المصارف . واما اشبيلية فقد كانت تبث اساطيلها وعماراتها للاوقيانوس الاطلانطيكي لمداجمة الجزائر البريطانية وبلاد القاع (هولاندة)

وان تعجب فاعجب للعرب كيف نبغ بينهم لأسفارهم المتراصة اسانذة جغرافيون شذبوا باقل وقت كتاب بعلينوس واكتشفوا بلاداً اخرى بغير أقدامهم لم توطأ ووسعوا المصورات التقويمية للغربيين وأشربوهم ذوق التنقل وحب الترحال فخص بالذكر منهم المسعودي وابن حوقل وابن بطوطة والاصطخري ورفع بين مشاهير الرواد راية سليمان والي زيد حسان اللذين عاشا للقرن التاسع واقبا بالمحمديين وجاب اولها شبه جزيرة مالقة واكتشف سلسلة الجبال المسماة باسمه لليوم وسبر طول نهر السند واطلع ثانيها على أحوال ماليزيا والتبت واقطار المحيط الهندية الافريقية . ولم يكن من عاد الحروب الصليبية على الغرب بغيرات لا تنفصى ولو لم يكن منها غير تحطيم قيود التعصب الكندي لكنى . وذلك لما رآه الصليبيون من تسامح المسلمين وساحل مشاهير أسرائهم كصلاح الدين الايوبي والملك العادل اللذين لقي منهم اهل الصليب كل شرف ولطف وتقض وهددها بتميز الاشياء ولذلك يمكننا ان نقول ان الكنيسة وروساها كبطرس الراهب الذين أرادوا نفوذها ورفعة شأنها لم يسعوا لحثفهم الا بظلفهم لان تلك الحروب الصليبية لم تجدم الا شراً .

واذا تألم الوجدان من تصالح الغرب مع الشرق وانقطاع يتابع الدماء لذلك فقد اكتسبت هاتان الامتان من الفوائد المادية والاخلاقية التي اذا قنهم طعم السعادة مانسهم ايام الشقاء . وهكذا ترى التجارة انتشرت بعد الحروب الصليبية أكثر من انتشارها ايام المملكة الرومانية فتعودت اوربا من العرب عادات الفضيلة والمدنية وكل ما يهون الحياة ويحليها للانس وابداً الغربيون يوطعون اقتباساً عن العرب مختلف انواع الثياب والحيون وأخذوا يصنعون الاقشة القطنية والخريرية وسكر القصب ولا الكحول وقلدوا العرب في ازيائهم وحمل الاسلحة العربية ثم توطد الامن واتحدت العلائق بين البلاه المسيحية والاسلامية وذاق الصليبيون لذة الاسفار بعد حروبهم حتى صار الاسيويون من الرأس الاصفر لا يخشون من رحيلهم الى رومية وليون وبرشلونة

و باريس بل ولندرا العصبية

انقلب بحن الزمان بعد تلك الحروب وزالت الريب والخافد وابتدأ المتصالحون
يتملكون هذه الارض يسبرونها ويشكون في هيئتها حتى جرم ترقى الجغرافيا لاكتشافات
عديدة في العلوم الطبيعية والفلسفية بله نقول ايضاً ان تلك الحروب الصليبية وارت
سبقت رواج أسواق التجارة غير ان هذه التجارة قد قربت متفرق المتعاربين ورأيت منهم
الصدع واسقطت السلاح من ايديهم وقدمت الهيئة الاجتماعية كثيراً

دمشق المترجم: عن الدين شيخ السروجية

اخوان روح القدس

كل دعوة تجدد في اميركا بلاد الغرائب انصاراً وكل مذهب يصادف اخواناً
واخذاناً . وقد قرأنا في المجلة مقالة في مذهب جديد نشأ منذ بضع عشرة سنة يزعم
اربابه ان المرضي مأخوذون لايشفون الا بطرد الشيطان عن اجسامهم بضربات من
التوراة . نشأ هذا المذهب في ولاية مين في دورهام ثم انتشر بفضل رئيسه فرانك
ستانفورد الذي بدعوه اشياعه الياس الثاني ويرونه . ظل الله على الارض على ان من
لايعتقدون فيه يرونه من ابرع المشتغلين بالروحانيات Hypnotiseur . المالمحدون
فيعتبرونه متمصباً محتالاً

ولما شرع هذا الرجل بتأسيس معبد لشيئته لم يكن يملك قرشاً فتبرع احد الاخوان
بالارض وعمرها في مدة قليلة ومنهم المهندس والبناء ومنهم الذي اتى بالاحجار وآخر
بالاخشاب وغيره بمواد البناء ومنهم من وقف ماله كله بحيث لم يمس على تأسيس هذه
الشيعة ١٥ سنة اذ اُست سنة ١٨٩٦ حتى اصبح رأس مالها نصف مليون
فرنك اتت كلها من صلوات يتلوها صاحب المذهب والاخوان يعتمدون على الله
ولذلك يرون انه يغنيهم رب السماوات وقد زعموا ان الله بذاته اوهن بانشاء هذا
المعبد وقدر انجازها على اتم صورته مع ما يتبعه من مستشفى ذو اربع طبقات ومدارس
ومساكن وغير ذلك فكانت الغرام اذا نضبت يأثمهم الفرج من حيث لم يحتسبوا
فيعادون العمل ويزعمون ان مئات اووا الى هذا المستشفى فشقوا من اوصابهم من فالج
 وغيره بضرب كتاب التوراة على الحائط فما هو الا ان تغادر اجسامهم الشياطين التي تلبستها
وقد ثبت ذلك فيما قالوا بالوف من الشهادات على ان التعاطب في هذا المستشفى مجاني
يدخله الاخوان وغيرهم

ويدعى ستانفورد انه يتفقد ارادة الله على الارض فيصعد كل يوم الى برج عال في المهد ويكلم المولى كما كان يفعل موسى الكليم - يتلقى اوامره تعالى ثم يبلغها اخوانه فيجيبون عليها بالسكوت

واصل ستانفورد قس من اهل كنيسة البائست في نيوهامشير وهو قوي نشيط شاب تخلى اول امره عن كل ما يملك وبقي يسبح ثلاث سنين ونصفاً فنصح له اصحابه ان لا ياتي ما بقي من ترك راحته وزوجته فلم يسمع وبث دعوته فقبلها من قبلها متأثرين من هيئته العظيمة وحركته الآمرة وكلامه المقنع وأسوأ المبدء في مكان عال مشرف على مدينة مين ووضعوا تحت امره مصرف الله وكل ما فيه للرب اقام ستانفورد وكيلاه

ثم رأى هؤلاء الاخوان ان يثبوا دعوتهم في اقطار الارض فاتخذوا لهم اسطولا يركبونه هم وحدهم وهم يتولون بانفسهم جميع اموره وهو عبارة عن سفينتين ويخت وهذا الاسطول ساعد ستانفورد واشياحه ان يطوفوا اهم بلاد الكرة الارضية فيبتاعوا كذا تراهم في ليغربول اذا هم في فلسطين وكانت الصلوات تقام في غياب ستانفورد كما لو كان حاضراً بقيتها اكبر الجماعة سنًا ويعتقدون بان روح صاحب المذهب لا تفترق تدبر امهم وهم اشتراكيون بالفعل فينال كل اخ في اليوم كمية محدودة من الخبز والعالمين نزل وتكثر بحسب الايجاب من السماوات التي يتفقد أمرها ستانفورد وجميع الاخوات يعتمدون على الله ولا يحسبون حساب الغد بل الله كفيل بحاجاتهم ويشعل الاولاد كلهم في المدارس الاعتماد على الله بحيث ان هؤلاء الجماعة لا يحزنون ولا يتأثرون حتى لمصابهم في اعزتهم فاذا مات لم عزيز يجملوه في نعشه بدون احتفال ولا أهبة ولا يكون عليه ويعتقدون ان الجسم هو غشاة الروح التي يرفعها الله اليه وهو حر مطلق فيها وما التألم للمصاب الا وهم وعبارة عن قامة الحجة على عمل المولى ولا يحفلون كثيراً بقبور موتاهم بل يكتبون اسم المتوفي بدون اسم أمرته بحيث يدرس بعد حين وكان عدد هذه الشيعة ايان انشائها نحو مائتي نسمة ولم يزد عددهم كثيراً بعد ولكن لم ينف في جميع الولايات المتحدة اشباع يمثلون ستانفورد في مذهبه ومن هؤلاء الاخوان من كانوا اغنياء فتحلوا عن كل ما تملك ايديهم للطائفة ومنهم من كان يملك الخمسين او المئتين الف فرنك

وقد كتب ستانفورد كيف تدار آسيا وافريقية واوربا والشرق الاقصى والصين

واليابان وجزائر المالايو ومصر وبلطين وابطاليا وفرنسا وانكلترا لخدمة طائفته قال لقد افنتني هذه السياحات بأنه من المتعذر نشر الانجيل بسرعة في مجموع شعوب الكرة الارضية فان هذا العمل من الاوهام لان كثيراً من البشر لم يسمعو باسم الله قط ولا يعتقدون بشيء في حين اني كل شيء بوجود الله الا هذا الانسان الذي يكفر بربه كما قال شاتوبريان فان عشب الوادي وارز الجبل تقدره والحشرة تطن بدمجه والقيط يسلم عليه في الصباح والطير يتغنى باسمه في الاوراق والصاعقة تبث قدرته والبحر المحيط يعلن عظمتة واتساع ملوكته وما غير الانسان منكر الصانع ولا اكاد اجد ثلاثة ملايين من سكان الارض كلهم لا يعرفون من هو المسيح واني لا اعتقد بان الناس سيعرضون على الديان في اليوم الاكبر مقسمين الى قسمين قسم يقوده المسيح والآخر المسيح الدجال الى غير ذلك من العقائد وبعضه ملفق من الاديان السماوية وبعضه من عادات القوم وتقاليد صاحب المذهب

محصول الذهب والفضة

كتب ايف كويو الاقتصادي الشهير رئيس تحرير مجلة الاقتصاديين البارزة مقالة في الذهب والفضة قال فيها ما تعريه ملخصاً : كانت اوربا على عهد اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ فقيرة جداً بالمعادن الكريمة تملك ما قيمته نحو مليار فرنك من الذهب والفضة وباكتشاف اميركا انصرفت الرغبة الى جلب الابيض والاصفر ويؤخذ من ثمر يروعه بعض الاقتصاديين متخذين الكيلوغراماً واحداً قياساً فقدروا كيلوغرام الذهب بـ ٣٤٤٤ فرنكاً و٤٤ سنتيماً و كيلوغرام الفضة بـ ٢٢٢ فرنكاً — انه بلغ محصول الذهب من سنة ١٤٩٣ — ١٥٢٠ ٥٨٠٠ كيلوغرام قيمتها ٢٠ مليون فرنك ومحصول الفضة ٤٧ الف كيلو قيمتها ١٠ ملايين فرنك وهكذا تدرج المحصول بحسب الادوار حتى بلغ ما استخرج من الذهب من سنة ١٥٨١ — ١٦٠٠ ٧٣٨٠ كيلو من الذهب قيمتها ٢٥ مليون فرنك و ٤١٨٩٠٠ كيلو من الفضة قيمتها ٩٣ مليوناً . وكان مجموع محصول الذهب والفضة من سنة ١٥٦١ الى سنة ١٥٨٠ — ١٨٠٠ مليون وبلغ مجموع العشرين السنة التالية بلغ مجموع ثمن المستخرج من المعدنين ٢٣٧٠ وهكذا بلغ مجموع قيمة ما استخرج من الذهب والفضة خلال ثمة وسبع سنين ٤١٧٠ مليون فرنك اي نحو اربعة اضعاف ما كان في اوربا على عهد الفتح الاميري سنة ١٤٩٢ ومع كل هذا فان اسبانيا لم تكن بما ورد عليها اكثر من جميع عمالك اوربا من الذهب ووقعت في شائقة

لا مثيل لها واصبح جند فيليب الثاني بلا طعام ولا علوفات فيعيشون بالتهب والحاجيات غالية غلاء فاحشاً أدى لوقوع الشكايات العامة

لحدودوا سعر الحنطة ومنعوا اصدار المصنوعات الى اميركا كما منعوا اخراج الصوف فكان المعدنان الكريمان ينهالان على انقرس بواسطة صيارفة جنوبيين وما يرح الاقتصاديون منذ يودين في القرن السابع عشر الى لوك الى مونسكيو الى دافيد هوم الى جايمس ميل الى نيكلسون واضرابهم يقولون في ارتفاع اسعار الذهب والفضة آراء وان اختلفت في الفاظها فآلها واحد فقد قال هوم : زيدوا البضائع لنزل قيمتها وزيدوا النقود ترتفع قيمتها وقال الاستاذ نيكلسون : لذهب ربح التجارة ومد الصناعة وجزرها وكثرته وقلته يعلي او يخفض الاسعار العامة كالريح او الجزر يزد او يخفف سرعة البواخر

وبعد فقد كان محصول الذهب مدة ٣٥٨ سنة اي من سنة ١٤٩٣ الى ١٨٥٠ ٤٧٥٢٠٠ كيلو قيمتها ١٦٧٣٦ مليون فرنك ومحصول الفضة ١٤٩٨٢٦٠٠٠ كيلو ثمنها ٤٠٦١٧ مليون فرنك وبلغ محصول الذهب من سنة ١٨٥١ الى ١٨٧٥ (١٦٤٤٨) مليون فرنك اي انه تضاعف وبلغ محصوله من سنة ١٨٧٦ — ١٩١٠ (٣٩) مليار فرنك اي ان مجموع محصوله في ٣٥ سنة ساوى المجموع السابق كله وزاد عليه ١٨ ضعف وقد زاد محصول الذهب منذ اكتشفت مناجم في كليفورنيا سنة ١٨٤٩ وفي استراليا سنة ١٨٥٠

وزادت حركة الغنى في اوربا بعد سنة ١٨٤٧ وقت المجاعة ثم وقفت ووقفاً مؤقتاً زمن الثورات التي حدثت من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٤٩ في بعض بلاد اوربا وبعد قبول انكثرتا لقانون حرية المقايضة فقبض الناس ايديهم وتمطلوا عن العمل ونهبت الاموال فلما زالت تلك الغشاوة عادت الحركة اكثر من قبل وكثر الطلب اكثر من العرض كما هي العادة في مثل هذه الاحوال بعد اشتداد النوازل وتكاثر الاموال وكلما كانت معدنوا الذهب في كليفورنيا واوراليا يفرقون بالاستغرجونه من هذا المعدن الكريم وهم في حاجة للمصنوعات والأكولات كانت الحركة تزيد بين الامم وتخرج من ذلك البلاد الصناعية ارباحاً هائلة فضاغت انكثرتا من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٥٦ خطوطها الحديدية فحدث ٤٠٠٠ ميل زيادة وأنفق من هذا الذهب في حرب القرم كمية ولكن كل حرب يعقبها ارتفاع في الاسعار فالنشاط في الصناعة قد نشأ من جلب الذهب من

كليفورنيا واورستاليا الى شرقي الولايات المتحدة فانشأت خطوطاً حديدية كثيرة بحيث بلغ مائته من سنة ١٨٤٩ — ١٨٥٧ (٢١) ألف كيلومتر ومن ذلك راجت سوق المضاربات والمصارف وكان من امر هذه الحركة في ارتفاع الاسعار ان عادت تحدث ازمة مالية في اميركا فاغلق فيها ١٥٠ مصرفاً ودع عنك شركات الضمان التي افلست ولم يبق من مصارف نيو يورك سوى مصرف واحد من ٦٩ مصرفاً استطاع ان يؤدي ما عليه واصاب انكثرا من هذه الضائقة شيء كثير اذ كان لها في اميركا من الاموال ما تبلغ قيمته ثمانين مليون ليرة وعقب حرب ايطاليا وحرب الشمال مع الجنوب في اميركا عادت الاسعار فارقت لا لكثرة الذهب بل لان الذهب اصبح بقايعض عليه بورق

ولئن كانت المعول على الذهب في مقايضات الامم فان البلاد ذات العيارين اي التي تعامل بالذهب والفضة على حد سواء ظلت ينهال عليها الذهب ومع هذا لم ترتفع اسعار الحاجيات على تلك الذببة فالخنطة لم ترتفع الا بفضل الولايات المتحدة والسكر نزات اسعاره لكثرة انتشار زراعة الشوندر وبفضل فتح برزخ السويس وتسهيل طرق الملاحة لم ترتفع اسعار الشاي وكثير محصول الحديد وخف سعره ولكن كثير الطلب عليه بسرعة وزادت اسعار الفحم والجلد زيادة فاحشة وكان من نتائج حرب النمسا وروسيا ارتفاع الاجور كما كانت من نتائج حرب فرنسا والمانيا ان مصرف فيها مباشرة او بالواسطة ٤ امليار فرنك ثم انشئت في الولايات المتحدة والنمسا وروسيا الوف من الكيلومترات من الخطوط الحديدية ٠ وكان من امر الفرامة الحربية التي اخذتها المانيا من فرنسا ان زادت الحركة في المانيا زيادة عظيمة وكانت النمسا قد دخلت في جميع خسروب المضاربات وفرنسا تحتاج لمال وانكثرتا تحتاج للنفود لكثرة ما اصدرت منها الى خارج بلادها فحدث فيها ازمة سنة ١٨٧٥ وبها تزلت الاسعار وهكذا ظل نزول الاسعار مطرداً منذ سنة ١٨٧٣ ما خلا بعض الاحوال القليلة ومنذ ذاك الحين لم يحدث من الحروب المهمة سوى الحرب الرومي العثماني الذي أنفقت فيه نفقات هائلة ولكن وسائل النقل ووزائع الانتفاع كثرث وفت وتزلت اسعار الحبوب بما ورد على اوربا من حنطة الولايات المتحدة وكندا والهند وروسيا ثم حدثت حرب البرنغال التي أنفقت فيها عدة مليارات من الفرنكات فاخذت الاسعار بالصعود ثم حدثت الحرب الروسية اليابانية فانفق فيها بضعة ملايين من مليارات الفرنكات ومن جملة الاسباب في ارتفاع الاسعار قلة مواشي

أستراليا التي كان من جفاف سنة ١٩٠٣ ان تزل عددها من ١٠٦٠٠٠ رأس الى ٤٠ ألفاً وأكثر الطلب على الصوف وكذلك زاد محصول الحرير والطلب عليه ومع تكثر الناس والطلب على الخنطة كان محصول الذهب واحداً بالنسبة للحنطة واللحم بيد ان الذهب على زيادة محصوله السنة بعد الاخرى لم يكن السبب في ارتفاع الاسعار بل ان كثرته اقل من ترقى صناعات الفحم الحجري والحديد واذا قيس محصول الذهب بالنسبة لمجموع صناعة العالم فقيمته طافئة جداً

فما يخرج من المعامل من أنواع الصناعات والمصنوعات وما يخرج من المزارع من انواع الغلات والثروات اكثر بكثير مما يخرج من ركاز الذهب واذا حسبنا مجموع ما يخرج منه سكان الارض وهم الف وستة مليون لا يعد محصول الذهب شيئاً في جانبه بل لا يكون واحداً في المئتين من مجموع اعمال العالم وحاصلاتهم ثم ان ما يحصل من الذهب لا يتعامل بنحو نصفه فان محصوله الذي بلغ منذ اكتشاف اميركا الى اليوم ٦٩ مليار فرنك قد قدروا ما هو موجود في المناجم وبين ايدي الناس منه فلم يبلغ اكثر من ٣٦ ملياراً ونصف مليار من الفرنكات والنصف الآخر من محصول الذهب خزن او استعمل في بعض الصناعات واختلف الاخصائيون فيما تستغرقه الصناعات من الذهب ولم يتجاوز تقديرهم النصف من محصوله ولم ينقص عن الثلث الا قليلاً . وختم العالم صاحب هذه المقالة بحثه بالنتيجة التالية : (١) ان زيادة محصول الذهب كانت ابطأ بكثير من زيادة محصول الصناعات الرئيسية (٢) ان استخراج الذهب ليس الا صناعة صغيرة (٣) ان زيادة المستخرج من الذهب وان كثرته فالطلب مازال يتجاوز العرض على الدوام (٤) ان زيادة المستخرج من الذهب في السنين الاخيرة لم يؤثر ادى تأثير في ارتفاع اسعار بعض البضائع (٥) ان الغائلين بنظرية الكمية لا يوافقون من مراقبة الواقع .

الشيوخ في اوربا

احصى احد علماء الدافرك عدد الشيوخ في اوربا الذين بلغوا المائة من عمرهم فوجد ٧٠٠٠ ووجد من احصائه ان اكثر البلاد التي يوجد بها من هذا القبيل هي البلقان اذ يبلغ عددهم ٥٠٠٠ من السبعة الآلاف المذكورة و يوجد من كل مجموع هؤلاء الشيوخ ٣٨٨٣ بلغار بين و ١٠٧٤ رومانيين و ٥٧٣ صربيين و ٤١٠ اسبانيين و ٢١٣ فرانسويين و ١٩٧ ايطاليين و ١٣ نمسويين و مجريين

و ٩٣ انكليزاً و ٨٩ روسيين و ٧٦ المانيين و ٢٣ نروجيين و ١٠ اسرجيين و ٥ بلجيكيين
و ٢ دانمركيين

هبات الامير كين

فات بحجة العالم الجديد كان مبلغ الهبات المالية التي وهبها المحسنون الامير كيوت
في سبيل الخير والنفع العالم في سنة ١٩١١ على ما عُلن في ختام هذه السنة
٢٥٨٤٧٥١٤٦٩٥ دولاراً وهو اعظم مبلغ وهب في سنة واحدة في اميركا بل ربما في
العالم حتى الآن وكان الفائز يقصب السبق في مقدار البذل المثري والحسن
الشهير اندرو كرنجي الذي بلغت هباته في هذه السنة فوق الاربعين مليون دولار
ولم تبلغ هبات روكفلر المثري الاخر الشهير غير ثلاثة ملايين وثمانمائة وعشرين الفا.
كيفما نظرت وايضا حالت في اميركا تجد آثار هبات المحسنين ظاهرة تنطق بفصلهم وتخلد
الذكر الجليل لهم . فالكتائب الجليلة ومعاهد العلم الجليلة والمستشفيات والملاجي الخيرية
المؤسسة والمدارس بالهبات الخصوصية من هذه الآثار كثيرة جداً وفي كل سنة تنفق الملايين
من احسانات الافراد في سبيل متنوعة على الفقراء والمحتاجين عدا ما تبذله الحكومة
والبلديات من هذا الوجه . وترى سلاجي العجز ودور الصم والعميان والمقعدين والايام
قائمة في كل جهة شواهد على كرم افراد المحسنين . خل عنك ما يبذل في سبيل
المنافع ومعاهد الآثار والتهديب وما يتفق على ارسال المبشرين ومساعدة رجال
العلم وغير ذلك الفاسر آخر تبسط له اكف المحسنين بسخاء يدل على محبة صحيحة للخير
وللنفع العام .

وقد يتصور معظم الناس ان بذل المال عند كبار المحسنين امر هين مازال هذا
المال موجوداً وليس عليهم غير اتقائه الا ان الحقيقة تناقض هذا التصور لان بذل
المبالغ الكبيرة من المال علم مشغل بنفسه يقتضي دراسة دقيقة حين يقصد القيام به بحكمة
تضمن حصول النفع . ولهذا يستخدم جوت روكفلر جماعة خصوصيين من الرجال
الذين لا اتمام لهم الا بتوزيع هباته حيث يمكن تحقيق اتيانها بفائدة ومعظم المحسنين
الكبار يتصرفون همز يد الثاني في بذلهم وكثيرون منهم يدرسون المشارع التي يراد
البذل في سبيلها دراسة خصوصياً بنفسهم على نحو ما يفعل مورغن وشيف وسيف بعض
الاحياء روكفلر لانهم يعتبرون انهم قد يبذلون ثرواتهم جزأاً اذا لم يقرروا ويسلكوا
سبيل الحكمة .

يوثر عن اندرو كرنجي قوله ان لآخر في الرجل الذي يموت غنياً ويذهب كثيرون الى انه عامل على اتفاق كل ثروته قبل وفاته . الا ان محسناً امير كيا آخر سبق كرنجي الى العمل بمنطوق هذه العبارة فبذل كل ثروته البالغة سبعة ملايين دولار دون ان يحتفظ منها بشيء . وهو الآن مقيم في احد الملاهي التي أنشأها كرمه يقضي بقية ايامه بسلام . وهذا المحسن هو الدكتور د . ك بيرسون من هايندز دابل . ايلينويز . الذي وهب في هذه السنة آخر ما كان يملك بمائتي بيتة والارض المحيطة به . ولكن الدكتور بيرسون لا يعد من كبار محسني سنة ١٩١١ وان تكن هباته باجمالها كبيرة . بل يرد في المقام الثاني بعد كرنجي الدكتور صموئيل بالا احد اطباء لوس انجلس كاليفورنيا الذي وهب ثروة لا تقل عن عشرة ملايين دولار ورثها من امسرتة في بلاد المغرب . وتخلّى عن جميع القاب الشرف التي كانت له حينما تجلس بالجنسية الاميركية . وان في مثل الدكتور بالا واندرو كرنجي — وكلاهما غير اميركي المولد — اكبر يرهان على استحقاق المهاجرين وعظم افادتهم لموطنهم الجديد ومقدار شعورهم مع اخوانهم الاقل منهم حظاً .

ومن تنوع الغايات التي تناولتها احسانات سنة ١٩١١ ان السيدة مارسي تروتر شاستيان وقفت ثروتها البالغة خمسة ملايين دولار على اقامة ملجأ للنساء من بنات النعمة اللواتي اخنن عابدين الدهر واصبحن بلا ملجأ . وقد اقيم هذا الملجأ في لكسنتن كنتكي وهو الوحيد من نوعه في هذه البلاد .

ومنها ايضاً ما يسعى اليه احد اعظم تجار شيكاغو جيمس باتن من تطهير الارض من السل الرئوي او الطاعون الابيض فقد خصص لذلك حتى الآن لا اقل من اربعة ملايين دولار وهو بوالى تبرعاته بدون حساب في هذه السبيل . اما دفعه الى ذلك فهو ان اخاه توفي بالسل اولاً ثم مالبث ان توفي ابنه فكان له بذلك باعث شخصي على مقاتلة المرض الوييل زيادة على الباعث الانساني العمومي .

ومنها ايضاً ان الصحافي الاميركي الشهير جوزف بولتزر صاحب جريدة الورد النيو يركية الذي توفي هذه السنة خصص مبلغ مليوني دولار لانشاء مدرسة صحافية في جامعة كولومبيا . وقد كان بولتزر مهاجراً ايضاً الا انه اصبح من اعظم الرجال الاميركيين العموميين وكان قوة معدودة في السياسة ومن اكبر فائدة الرأي العام على الرغم من ابتلائه بالعمى في العشرين سنة الاخيرة من حياته .

اما اعظم هبات هذه السنة وهي التي تفوق قيمتها المليون ونصف المليون على اختلاف غاياتها الخيرية والعلمية والتهديبية فيبانها كما يأتي:

٤٠٧١١٣٠٠	اندرو كرنجي
١٠٠٠٠٠٠	الدكتور صموئيل بالاً
٥٠٠٠٠٠٠	السيدة ماري تروتر شاستيان
٥٠٠٠٠٠٠	يثر بنت بريغهام
٤٠٠٠٠٠٠	جيمس باتن
٢٥٥٩٥١٤	مشل فالنتين
٣٨٢٠٠٠٠	جون د. رو كفلر
٢٠٠٠٠٠٠	جون م. بورك
٢٠٠٠٠٠٠	وليم برايور
٢٠٠٠٠٠٠	الآنسة كاتون اوغستادي بوسيتز
٢٠٠٠٠٠٠	جوزف بوليتزر
٢٠٠٠٠٠٠	القائد ت. كولمان
١٥٠٠٠٠٠	السيدة روسل ساج
١٥٠٠٠٠٠	جورج كلايتون

المرأة في الولايات المتحدة

كتب البارون دستور نل دي كونا ثمان من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا مشاهداته في الولايات المتحدة فقال ان مسألة التربية المشتركة في الولايات المتحدة اي تربية الشبان مع الشابات قد اخل اشكالها في ولايات الغرب اما في ولايات الشرق فقد أخذوا يتناقشون فيها وذكر مارآه في كليات الشرق من امتزاج البنين بالبنات في المدارس الداخلية فترام بتعلمون ويلعبون ويرتاضون معاً وللفتيان اما كن خاصة لئولهم كما للفتيات بحيث ترى ربات الجمال يعملن فلا يخفن الهواء ولا البرد ولا الحر ولا يعيون الرجال وما قسط سمع بعار ارتكب او فضيحة أثبت

ولقد كان يخامر خاطري وانا أرى اولئك الفتيان والفتيات يتراكن و يتدارسن متروكين لغرائزهم ثم بدا لي بمد الاختبار ان هذه التربية هي أكد الطرق الى الفضيلة وان استعمال الحرية احسن ذريعة واتم نظام وان فتيان الفرنسيين ليغلطون اذا

وهموا ان هذا النوع من التربية الاميركية لا يخرج رجالاً أكفأ ونساء ذوات كفاءة
فانما ترى ابناء هذه التربية يسبحون في اوربا واكثرهم لا يعرفون لغاتها وبحسن رجولتهم
ومثابرتهم يستنون التخلص في كل مكان فهم يرون ان تربيتهم المستقلة لا تفصلهم عن
سائر العالم بل تقربهم

ولطالما سألني النساء ولا سيما في اقصى الغرب من اميركا حيث بلغ ارتفاع الجنس
الملطيف اقصى كاله عن رأيي في حالة المرأة الاميركية والمرأة الاوربية وقالت لي احداهن
انك اثبت من اوربا باوهام وثقايد بشأن المرأة وكيف جاز للام الفرنسية ان تشك
في عفاف ابنتها فلا تتركها بعد الغروب تسير وحدها فاجبتها بان بنانا قلوبنا تخاف عليهن
من الوطني بقدر ما تخاف مثلاً على الفتاة تسير وحدها في جادة باريز لكثرة ما يجرى هذه
العاصمة من اخلاط الزمر الذين يجيئون لينفقوا فيها اموالهم والفتاة لاسلح معها لا ضد
الفانون فقط بل ضد الاخلاق التي يجب تحسبها قبل كل شيء

وقالت لي احداهن: ولا تغفلن ان المرأة الاميركية سعيدة أكثر من المرأة الفرنسية
فان زوجها او اباها لا يشركها في حياته كما يشارك الفرنسي زوجته او ابنته فالزوج
الانكليزي يمر امام امرأته والمرأة الاميركية تمر امام زوجها اما المرأة الفرنسية فانها تمر
مع زوجها كنفاً الى كنف

نعم ان المرأة في فرنسا ولا سيما في البلاد التي لا يسمح فيها السائحون مثل مسقط
رأسي «السارت» هي الحاكمة الحقيقية في بيتها وبعبارة ثانية ان الحاكم هو الرجل والمرأة
هي الساهرة الرجل يأمر والمرأة توحى وتبذل كل مالي وسعها للقيام بكل ما يقضي
منزلها من الاعمال فهي تباكر قبل زوجها توقد النار وتعطي الطعام وتوقظ الاجير او
تضع العلف للدواب بيدها وتنفذ الثياب وتطلي الاحذية وتعين زوجها كمد دوابه
فاذا ما انصرف زوجها انزع كل شيء في الغرفة سيجف محله وكذلك المطبخ والدار والفن
والغناء والاصطبل وتلبس الاولاد وتطعمهم وترسلهم الى المدرسة وتصلح الثياب وتغسلها
وتكويها وهي تشكلم وتحدث وتقدم الطعام الجيد لزوجها وتعمل له الحلويات وتبشع
حاجياتها من البقال وتقبل ضيوفها باسمه وهي بهندام نظيف آمنة مطمئنة وهي تحسب
حساب بيتها ومنهن في هذه المقاطعات من لا يعرفن الكتابة الا قليلاً ومع هذا ترى المرأة
لا تخطي فتدفع لهذا وتسلف ذاك وتوفي زبداً وتسلي زوجها وتدخل السرور على قلبه
اذا كان كئيلاً وتباحثه وتجادله فهي مستشارته وصاحبه ونصفه بل أحسن نصف فيه

ولذلك لا ترى هذه المرأة تطالب بمثل ما يطالب به غيرها من نساء اميركا وانكثرا من حق الانتخاب لان القانون وضعها موضعها اللائق بها
اقول هذا وانا اوم من استعملوا الشدة في انكثرا مع النساء المطالبات بحقوق الانتخاب فوضعوا المرأة في طبقة احط من طبقات الانسانية اما في الولايات المتحدة فلم يرتكب احط الساسة قط خطأ مع النساء كما ارتكب احرار الانكليز حتى ان الرئيس روزفلت نفسه القائل بالشدة لم يقاوم المرأة في وقت من الاوقات وعاملها بالحسنى على الجملة

وان مسألة تصويت النساء لتفحل عقدة بعد اخرى في الولايات المتحدة وما الذين يضحكون اليوم من مطالبة النساء بهذا الحق الا اناس سيضحك منهم غداً وهكذا كان حال كل المدافعين عن المطالب الشريفة وجميع المقدمين والمخترعين ضحك الناس منهم وعزأوا بهم ثم اخذوا بعد ذلك بيجلوتهم وبقدسوتهم وقد فجع النساء في الولايات المتحدة باشتراكهن في انتخابات البلدية حتى ان منهن رئيسات في بعض البلديات كما هن امهات صالحات وشاركن الرجال في الافوار على ميزانيات المعارف وانتخاب المعلمين للمدارس او اعضاء لدور الكتب دع عنك من دخل مرتين في التعليم واوارة المدارس وغرف التجارة والزراعة وقد كان للنساء الاميركيات بد طولى سبب تحرير الزوج ثم عاد الرجال فاضطهدوهن واخرجوهن من دائرة العمل في انهاض بلادهن على نحو ما يخرج الجناة والمجانين فمن الآن لا يقنعن الا بمشاركة الرجل فلا يكتفين بالتفوذ بل يردن العمل بل العمل مباشرة . وقد ثبت لي ان النساء متمعات في الانتخاب في المدن الداخلية حيث المرأة هي صاحبة الامر والنهي في منزلها لاحت النساء يتلهين بملهي السواحل وحافاتها كما هو الحال في سان فرانسيسكو ولولا النساء في هذه الولاية لاشتعلت جذوة الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ولكنهن يلعفن من تغالي الرجال وبعدهم الهى حظيرة التعقل في كل حال

المدارس الابتدائية في استراليا

اوستراليا او هولاندة الجديدة جزيرة كبرى للغاية في المحيط الكبير وهي من ام المستعمرات الانكليزية سكانها زهاء اربعة ملايين نصفهم من الاوربيين جاؤوا لاستثمار ما فيها من معادن الذهب والفضة والثور على تربية الماشية ومساحتها عبارة عن ٨٦٢١٥٦٧٣ كيلومتراً تقسم الى عدة ولايات وتعد هذه الجزيرة احدها قارات

العالم الخمس وقد كتبت احدى العقائل فيها مبحثاً في مجلة مستندات الترقى الباريزية تصف مدارسها الابتدائية اللادينية التي تقصر على تعلم العلوم فقط فقالت ان لنظام التعليم الابتدائي في اوستراليا مبدأين التعليم الاجباري والمجاني

وقد كان عدد من دخلوا المدارس العامة في السنة الماضية من الاولاد ٧٢٨٠٠٠ ولد ومجموع ما انفقته ولايات هذه الجزيرة على التعليم ٧٥ مليون فرنك

والن كانت المواد الجوهرية في التعليم الابتدائي الجيد موجودة ثمة منذ زمن طويل الا ان مدارس حدائق الاطفال لم تزد الا في العهد الاخير وكذلك مدارس تعليم البالغين . كان التعليم الابتدائي في مدارس اوستراليا دهرأ طويلاً لا دخل للدين فيه بته ورأى الشرع هناك بالنظر لكثرة المذاهب الدينية ان ليس من الحكمة ادخال مسائل الدين ومناقشاته في المدرسة وان غابها يجب ان توفي بمحاجات التعليم والتربية وليس في البلاد غير ولاية غاليا الجديدة في الجنوب شذت عن هذه القاعدة منذ زمن بعيد وادخلت الى مدارسها تعليم النوراة نازعة في تعليمها منزعاً لا يشعر بالتشيع لمذهب خاص من مذاهب النصرانية ومنذ زمن غير بعيد حذت هذا الحذو ايضاً ولايتان اقل مكانة من تلك وهما ولاية اوستراليا الغربية وولاية تاسمانيا فاخذتا نقرنان في مدارسهما شيئاً من كتب الدين بيد ان الولايات الراقية من حيث الصناعة والعلم مثل ولاية فيكتوريا واوستراليا الجنوبية وكنسلاندا قد احتفظن كل الاحتفاظ بمبدأ المدارس العلمانية .

ولم يبرح ولا الامور ولا سيما في فيكتوريا يا بحر صون على تعرية المدارس من كل جدل ديني وبظهرون فضل هذه الطريقة في نشئة اخلاق الاولاد وبيشون ما ينشأ من العدول عن هذا المبدأ الذي ظهرت ثمراته . وشعار مدارس ولاية فيكتوريا يا سيف التعليم : « الاجبار والمجانية والعلمانية » ومعلوم ان الاجبار المدرسي مناف للتعليم الديني الاجباري لان هذا ربحامس العوطف الدينية في الاولاد وفي اهلهم ممن قد تكون عقائدهم مخالفة لما يلقن اولادهم في المدارس

اما الكنائس فانها مخالفة لهذا المبدأ وهي بوجه الاجمال تناقض مبدأ التعليم اللاديني ولا سيما الكنائس البروتستانتية فانها تطالب بادخل تعليم النوراة على مثال ولاية غاليا الجديدة في الجنوب ولطالما حاولت نيل ذلك فكانت الاكثرية في جانب المدارس العلمانية اما الكنيسة الكاثوليكية فانها تفضل ان يكون التعليم علمياً محضاً من

ان تعلم في المدارس التوراة فقط على الطريقة البروتستانتية وتوشك ان تؤسس مدارس لابنائهم خاصة يوم يتالم لم تعلموا عندي دينيا يخالف مذهب آبائكم . اما غير المتدينين والطبيعيون فانهم لا يقولون بتعليم ديني ولا باقامة شيء من الشعائر وقد سمحت حكومة فيكتوريا لآباء التلامذة ان يملحوا اولادهم تعليما دينيا بواسطة قسيسين من مذهبهم وذلك بعد لقاء الدروس النظامية اوقبلها . وليست قراءة التوراة اجبارية حتى في مدارس الولايات التي تعلم الدين

وعلى الجملة فان من ولايات استراليا من لم تلتزم الخطة اللادينية في التعليم ومنها من قبلت بتعليم التوراة مع سائر العلوم ولكل من التعليمين انصار ولها أثر في تربية ارواح الاولاد . ويقول خصوم التعليم اللاديني في استراليا ان حالة اخلاق الشبية في ولاية فيكتوريا اخط مما هي في سائر الولايات التي تعلم فيها التوراة ويقولون بان احدى ذور توليد النساء في ملبورن كان فيها نصف الامهات الفتيات من سن ١٥ الى ٣٠ و بعضهن من سن ١٢ الى ١٣ او ١٤ فيجيبهم خصومهم على ذلك بان امثال هذه الدور للتوليد لا تقبل الا من كن « بكرات » من البنات ولذلك كان عدد عظيم من توبيهن من النساء هن شابات للغاية

وقال الاستاذ آدم من كلية ملبورن ان عدد الجرائم قد تضاعف في فرنسا من سنة ١٨٦٦ الى ١٨٩٦ بسبب المدارس اللادينية وفاته ان التعليم الديني في خلال نصف هذه المدة كان اجباريا في مدارس الفرنسيين وقد ادعى احد القائلين بالتربية اللادينية ان مدارس ولاية غاليا الجديدة انت بانفع الثمرات بمدارسها الدينية اكثر من مدارس ولاية فيكتوريا اللادينية وان عدد الجنح والجنابات اكثر في الولاية الاخيرة من الولاية الاولى على انه لا يجب ان يفوتنا ان الاحصاء الذي يوردونه تأييدا لمذاهم لا ينطبق مع حقيقة الواقع لان من الولايات ما زاد نفوسها اكثر من غيرها ولذلك زادت جرائمها لا لفقدان التعليم الديني منها والحقيقة ان عدد الجرائم كان هكذا سنة ١٩٠٨

ولايات	تعليمها لاديني	ولايات	ذات تعليم ديني
٢٤٧	كندا	٤٩٦	استراليا الغربية
٢١٦	فيكتوريا	٣٣٠	غاليا الجديدة الجنوبية
١٢٩	استراليا الجنوبية	٢٩٢	تاسمانيا

وقد كان معدل الولادات غير الشرعية سنة ١٩٠٧ ٦٠٦٦ في المئة في ايكوسيا على حين كان ٣١٩٩ في المئة في انكترا وبلاد الغال من بريطانيا وكانت فينا من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ تعد في كل الف امرأة غير متزوجة او عذبة منها من ١٥ الى ٤٥ ٦١ ولادة غير شرعية في حين كانت باريس تعد ٣٦ في كل الف اما سدي عاصمة اوستراليا كلها وفيها تعليم ديني فكان منها معدل الولادات غير المشروعة خلال تلك المدة ١٧٦٩ في المئة وكان معدل الولادات في ولاية ملبورن اللادينية ١٣١٥ في المئة وادمبرغ ١٢٣ في المئة ولندرا ٦٦٤ في المئة

وهي علم لم انتشرت الرذيلة في بعض المدن التي ذكرناها ولا سيما في لندرا يعجب المرء ان يربح الى اية درجة يمكن تأثير طريقة التسجيل في الاحصاءات وكيف انتشرت طرق مقاومة الجبل انتشاراً فاحشاً - وما هذه الاحصاءات في الحقيقة يستند يصدق على سمو اخلاق بل ولا على انحطاطها الا الى حد محدود فان كثيراً من الولادات غير المشروعة تكون في أمة دليل الجبل اكثر مما هي دليل فساد الاخلاق ولا يصير الى دور التوليد الا الجاهلات اما الفاسدات من النساء فانهن يعرفن من اين تؤول كل انكشف اذا وقعن في مأزق وحملن من حرام

يبد ان الاحصاءات في اوستراليا اثبت مكانة الاخلاق في الولايات التي اتخذت في مدارسها الحياء قاعدة في مسائل الدين ولكن هذه المكانة يحتجز المرءون اللادينيون من نسبها خاصة الى التعليم اللاديني ولا يعتمدون الى الاستشهاد بالاحصاءات الالرد جميع خصوصهم في فوائد المدارس اللادينية

هذا ما قالته كاتبة المقالة ونحن لا نثبت ولا ننفي الآن في ترجيح احدي الطريقتين الدينية واللادينية ولا سيما في هذه الديار المجهول أمرها فغسى ان لا ينادى احدهما نعتله الشهر بعد الشهر عن مجلات الغربين للعبارة والاستغارة وما القصد خدمة رجال الدين ولا غيرهم بل عرض اوضاع الغرب واهل الشرق معها وما يختارون مدينة في حقيقة

ينشئون الآن على مسافة خمسين كيلومتراً في شمالي لندرا مدينة سيف حديقة غناء لا يواء الاقطاء واليتامى من الاولاد وكانت ربت ادارة هذه المدينة سيف معاهدها حتى اليوم منذ اربعين سنة وهو وقت أنشائها ٧٠٤٣٦ طغلاً وأنشأت ٢٥ الف معهد سيف المستعمرات الانكليزية لهذا الغرض والغاية من انشاء هذه المدينة الجديدة تدريب

الاولاد على حياة الزراعة ولا سيما في سهول كندا الفسيحة وستقسم المدينة الى ٢٨ داراً كل منها توتوي ٣٠ ولداً ولكل دار حديقة وحقل يعمل فيه الاولاد بفصل كل بيت من جاره وهناك مستشفى وحوض لتربية الاسماك .

وقد سبقت المانيا فانشأت هذا النوع من المدن والحداثق الخارجية عن الحواضر والعواصم لتبقى هذه للاعمال والتجارة وتكون المدن الحديثة للصحة والراحة تعود بالانسان الى الطبيعة التي فقد الانسان الاستمتاع بها بما يراه في المدن الحديثة من بنايات ذات اربع او خمس طبقات . وقد رأى القائمون بذلك من الالمان ان الاراضي في الضواحي البعيدة رخيصة لا تخضع لقانون المضاربات ويشترط على كل صاحب بيت مانكاً كان او مستأجراً ان يزيد في جمال بقعته جمالاً بما يفرسه فيها من الاشجار وبنشته من الحدائق الانيقة ويشترط عليه ايضاً ان يبيي قطعة يفرس فيها انواع الزهور وحديقة وراء بيته يلعب فيها اولاده وقد أنشأ هؤلاء المفكرون في الضواحي حمامات ومحال اللعب ومكاتب للمطالعة ومحال للسماع مجانية ودور تمثيل ومتاحف ومستوصفات مجانية وملاجئ للامهات وغير ذلك من المنشطات وكلها بلا مقابل

الابن

معظم بلاد الغرب تخرج من اللبن الحليب والزبدة والجبن وسائر ما يتفرع من اللبن صنوفاً وضروباً ولبن تجارة واسعة تعد بالملايين وقد ساعد على انماثلها نمو الزراعة بالمراعي الكثيرة والوسائط العملية الوفيرة ولذا رأينا في اوروبا فلاحاً يعيش هو وأسرته من بقرة او غنمين ولذلك امثال في هذا الشرق ايضاً ولكن المتوفرين هنا على تربية المواشي الحلوبة اقل بكثير من المتوفرين في الغرب عليها . فنجده في سويسرا ثلاثة ارباع الاراضي الزراعية مخصصة للمراعي ونقدر مساحتها بعشرين مليون هكتولتر وثمنها ٣٣٣ مليون فرنك ونصف المراعي يصرف بطبعه وسبعة ملايين هكتولتر تصرف لعمل الزبدة والجبن والباقي للحصول على الطحين اللبني والشوكولاتا باللبن . وسويسرا تصدر معظم ما تملكه من اللبن المجمد والجبن والطحين اللبني الى البلاد الخارجية وفي سويسرا مليون ونصف مليون رأس من الماشية و ٣٦٠ الفاً من المعزى وكثيرة ما يرد عليها من الاجانب السائحين تجلب من البلاد الخارجية ٤٧ الف رأس بقر و ١١٨ الفاً من الخرفان و ١٥٠ الف غنير في السنة وهكذا الحال في فرنسا والمانيا وغيرها من البلاد ففي تكوكه واردات المملكة العثمانية كلها من اللبنها بقدر واردات سويسرا فقط

وسويسرا بمساحتها اقل من نصف ولاية سورية وبنفوسها تقرب من نفوس القطر السوري فتأمل

المدارس الفرنسية

في الشرق

يستفاد من تقرير الميسوديشانل ان عدد التلاميذ الذين تلقوا علومهم في المدارس الفرنسية في بلاد السلطنة وفي الشرق بلغ في العام المدرسي الاخير ١٠٤ آلاف منهم ٧٤ الف تلميذ في السلطنة و ٢١ الفا و ٥٠٠ في القطر المصري و ٢٩٠٠ في اليونانية و ٣٢٥ في كريت و ٦٦٧ في قبرص و ٢٠٠٠ في بلغاريا و ٢٠٠ في رومانيا و ٢٨٠٠ في ايران

اما عدد الذين تلقوا العلوم العالية فبلغ ٧٥٢ والعلوم التجارية وغيرها ١٦٩٥ والعلوم الثانوية ٩٩٤٣ والعلوم الابتدائية ٩١ الفا و ٤٨٥

الطلاق في يابان

يزداد الطلاق في الغرب اليوم بعد اليوم ولكنه في الشرق اكثر ولا سيما في الشرق الأقصى فقد ذكرت احدى مجلات يابان انه كان سنة ١٨٧٠ بالنسبة للزواج ٨٤ سنة كل عشرة آلاف فتجاوز معدله اليوم ٢٥٠ في العشرة آلاف والمرأة هي التي تطلب في الغالب طلاقها وذلك بفضل التربية والتعليم فقد أرثقت المرأة اليابانية وشمرت بحب الحربة حتى انها لا ترى ان تنفد بزوج قيداً ابدياً ولو تعلمت ما ينفعها في منزلها وأمرتها على نسبة ما ينفعها في توسيع عقلها لما آثرت على عيش الأسرة حياة غيرها وليس السبب في طلب المرأة اليابانية الطلاق سوء الاخلاق وخيانة الزوج والزوجة بل توسع المرأة في نفاذي حقوقها قالت وقد اختلفوا في الغرب بامر الطلاق فالكاثوليك يجرمون من يأتيه ويرون ان عقد الزواج لا ينفصم الا بالموت والبرذخات يخلونه ولكن بشروط والمحددون يعتقدون ويخلون على هواهم ويرى بعض الاجتماعيين ان الطلاق هو الدواء الوحيد الشافي من أصعب أمراض المجتمع ونحن نقول ما قاله اسلافنا ان ابنض الحلال الى الله الطلاق

براميل القمامات

تضع مدينة باريس براميل امام بعض البيوت والمحال ليلقي فيها الباريزيون القمامات والكفاسات التي يكسحونها من دورهم وشوارعهم بسمونها *Toubelles* نسبة ل احد

ولادة باريز السابق الذي ابتكر هذه الطريقة فوضع هذه البراميل لثلاث ثلثي القادورات في كل مكان فيتأذى بها ابناء السبيل وتضر بصحة السكان ومن السجيب ان الافرنج يمنون استخدام كل شيء وينفعون من كل مادة ومن كان يخيل اليه ان عشرة آلاف رجل وامرأة وولد يتوفرون كل يوم على البحث في هذه العلب والبراميل قبل ان يرفعها الكساحون في عجلاتهم ويلقونها في اماكن تستخدم لتسميد أراضي الضاحية فيعثرون فيها احياناً على لقط لا تحظر في بال ويتناولون منها فضلات تقدر قيمتها ببضعة ملاين وهكذا يستخرج اليوم اللاتولين *lanoline* الذي لم يكن معروفاً منذ عشرين سنة وهو يتألف من بنايا انسجة الصوف والخرق التي تغسل بماء غليظ من المواد الدهنية والزيتية وغيرها ومن اللاتولين يخرج ارباب المعامل ارباحاً مهمة وكذلك الحال سيف قطع الزجاج التي يعزلونها من هذه العلب ويسحقونها ويمزجون مسحوقها بطلاط بورتلاند فيأتي منه مزيج يكون منه بلاط شفاف اقل الناس على تبليط الدور والحواسيت به ويعملون من هذا المسحوق ايضاً قريماً يدخل في بعض الابنية . ويستعملون ايضاً الزجاج المكسور وصوالة « بقايا » البقول والجلد والاحذية العتيقة والنفايات البالية والمسامير القديمة المصدية والمنايح والاقفال المحطمة مانظته ربة البيت لافائدة فيه . وقد جرت بعض مدت اميركا على هذه القاعدة في انه لا شيء بدون نفع فأخذت تسحق هذه القمامات على اختلاف تركيبها وتجعلها ذروراً يصير منها سماد نافع يحتوي من المواد النباتية والحديد النافع في اخصاب الارض . وكما الافرنج في هذه السبيل من اعمال يحولونها بها مالا يعتقد غناه الى مواد نافعة حتى لقد بلغ بهم التفتن في العلم ان اخذوا يجمعون الدخان الذي تقذفه المراقدة العالية فيضر بالزروعات ويحولونه الى قلي طيار وهذا التشارد يباع باثمان مهمة ويغير به المخزون

الخبز البلدي في بودابست

أنشي هذا الخبز سيف عاصمة المجر سنة ١٩٠٣ وهو يكاد يكفي حاجات المدينة ومعاهدها ويخبز كل يوم ٢٨ الف كيلو من الخبز تخبز كلها بواسطة ادوات لا تمسها يد انسان في امكنة مستوفاة من حيث حفظ الصحة وقد كاد يقضي هذا الخبز على الخبازين في المدينة فاضطروا ان يخفصوا من اسعار الخبز ولكن الناس يقولون على خبز الخبز لطافته ورخص اسعاره والخبز يدفع اجوراً لعملة أكثر من سائر الخبازة ويعملون في الهار ساعتين اقل من اخوانهم في الافران الاخرى